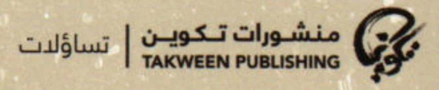


أليكس آدامز

كيف يُبَرَّر التعذيب؟

في عمق سيناريو القنبلة الموقوتة

ترجمة: د. إيمان معروف



كيف يُبَرَّر التعذيب؟

في عمق سيناريو القنبلة الموقوتة

أليكس آدامز

كيف يُبَرَّر التعذيب؟

في عمق سيناريو القنبلة الموقوتة

ترجمة

د. إيمان معروف



الكاتب: أليكس آدامز
عنوان الكتاب: **كيف يُبَرَّر التعذيب؟، في عمق سيناريو القنبلة الموقوتة**
ترجمة: **د. إيمان معروف**

العنوان باللغة الأصلية: **How to Justify Torture: Inside the Ticking Bomb Scenario**
الكاتب: **Alex Adams**

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله
تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 978-9921-723-69-4
الطبعة الأولى - يوليو/تموز - 2020
2000 نسخة

How to Justify Torture

This edition first published in the UK and USA by
Repeater Books, an imprint of Watkins Media Limited
www.repeaterbooks.com



الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 40 04 81 98 965 +
بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 60 58 00 11 78 964 +
publishing@takweenkw.com
takweenkw
www.takweenkw.com
@takweenKw

المحتويات

إهداء

إحياء لذكرى

إليسا نعمان (2009-1985)

بوب آدمز (2012-1952)

لـ هانا بورمان و (ر.م.)

المقدمة

التعذيب وبنية الفطرة السليمة

يستحيل نقاش ما هو واضح[1].

الكسيس جيني

مهلاً. أي سيناريو؟ وأي قنبلة؟

سيناريو القنبلة الموقوتة، تجربة فكرية حول متى يكون من المقبول أخلاقياً ممارسة التعذيب؟ إن افترضنا أنه مقبول أصلاً. إن خضتَ يوماً نقاشاً حول التعذيب، فلا بدّ أنك سمعت عن هذا السيناريو. غالباً ما يُنظر إلى هذا السيناريو على أنه سؤال بلاغي يتطلب إجابة شخصية، ويوجّه بدوره المشاركين نحو اختيار إجابة معينة. إذ يسير النقاش عادة وفق الخطوط التالية: يعلم الجميع أن التعذيب لا يمكن تبريره في الظروف العادية لأنه شكل من أشكال

(1) الكسيس جيني، فن الحرب الفرنسي، مترجم. فرانك وين (لندن: كتب الأطلسي، 2017).

سوء المعاملة المثير للاشمئزاز والغريب والمنفّر، ولا يمارسه إلا المختلّون عقلياً أو بلطجية الحكومات الدنيئة، إلى جانب أنه يسبب لضحاياه ألماً وضيقاً شديدين وربما الموت. لا أحد، بالطبع، يحاول تبرير التعذيب في حد ذاته. لكن تخيل، إن استطعت، أن قنبلة موقوتة وضعت في مكان خفي في مدينة ما، والساعة تقترب من الصفر بلا رحمة وصولاً إلى لحظة التفجير، وقد وقع المجرم المسؤول عنها في قبضتك. اختلف الوضع هنا: نحن لسنا أمام رجل مختلّ عقلياً يعذب شخصاً ما بشكل فظيع من باب التسلية، أو أمام جماعة من ذوي القميصان البنية يقتلون المنشقين سياسياً والمعارضين في قبو التعذيب لدى بعض الأنظمة الاستبدادية. أنت أمام إرهابي، فهل يمكنك -هل فعلاً يمكنك- تعذيب هذا الإرهابي المذنب بالتأكيد من أجل انتزاع معلومات منه في غاية الأهمية حول مكان القنبلة كي تتمكن من إيقافها في اللحظة الأخيرة قبل أن تنفجر وتودي بحياة مئات أو آلاف الضحايا الأبرياء؟

نذكر ما يشبه ذلك في فيلم غريغور جوردن «اللا متصور Unthinkable»، قام إرهابي بزرع قنابل نووية في ثلاث مدن في جميع أنحاء الولايات المتحدة وقدم مطالب جيوسياسية مبالغ بها يعلم جيداً أنه من الصعب تلبيتها. أو ربما، مقطع من رواية جان لارتيجوي **السينتوريون**، حيث زرع مجموعة من رجال العصابات القوميين 15 قنبلة موقوتة في عاصمة دولة استعمارية كجزء من حملتهم المسلّحة المناهضة للاستعمار. أو ربما، كما في فيلم تشارلز برونسون **أمنية الموت** الجزء الخامس: **وجه الموت**، حين يضطر

الرجل اليائس لإنقاذ ابنة زوجته المختطفة وحمايتها من القتل على يد رجل عصابات مخيف بلا قلب. فهل التعذيب في هذه السيناريوهات هو ردّ الفعل الصحيح أو السلوك الصحيح الذي يجب اتباعه؟

يأتي سيناريو القنبلة الموقوتة بأشكال عديدة. وتؤطر جميعها بأساليب درامية متنوعة ضمن مجموعة هائلة من الأنواع الأدبية والفنية، وتستدعي نخبة واسعة من الأفكار المتداخلة، لكن مكوناتها الأساسية هي نفسها تقريباً - الحالات الطارئة العاجلة محدودة الوقت والأسير المذنب، وافتراض أن ممارسة التعذيب على هذا الأسير سينتج عنها معلومات حاسمة ومحددة ستقود مباشرة إلى حلّ مرضٍ للحالة الطارئة وإنقاذ الضحايا الأبرياء. لذلك، من الواضح في هيكل السؤال نفسه أنه لا يعترف إلا بردّ واحد مقبول أخلاقياً: **نعم**، إذا افترضنا أن التعذيب سيحقق ما نريد، وإذا ثبت أن التعذيب في هذه الحالة هو أهون الشرين، وإن كانت ممارسته تفضي إلى حماية حياة الأبرياء، فمن المؤكد أن بالإمكان التغاضي عنه والقبول به.

يمكن العثور على أمثلة في كتب الفلسفة والسياسة بقدر ما يمكن العثور عليها في الأدب. فعلى سبيل المثال، كتب الفيلسوف مايكل ليفين عام 1982، «في وقت قريب سيهدِّد إرهابي عشرات الآلاف من الأرواح، وسيكون التعذيب هو السبيل الوحيد لإنقاذهم»[1].

---

(1) مايكل ليفين، «قضية التعذيب»، نيوزويك، 1982، http://people.brandeis.edu/~teuber/torture.html عام 2009، تحدّث ليفين مع مراسلة صحيفة خدمة أخبار الدين الصحفية تريسي جوردون، وأعاد تأكيد اقتناعه بأن التعذيب يمكن

وفي مقالته القصيرة، التي تتخللها مواقف افتراضية عاطفية مثل تفجير سلاح نووي في مدينة نيويورك في الرابع من يوليو أكّد بشكل قاطع أن التعذيب في ظل ظروف سيناريو القنبلة الموقوتة «ليس فقط مسموحاً به بل إلزامي أيضاً من الناحية الأخلاقية». ويرى ليفين أنكَ كلما حظيتَ بفرصة لمنع الدمار المروّع من خلال ممارسة التعذيب الجسدي على الشخص المسؤول عنه، فلا ينبغي أن تتردّد على الإطلاق.

وبعد مضيّ عشرين عاماً، رأى آلان ديرشوفيتز، محامي الحقوق المدنية والروائي الذي حقق مكانة بارزة ومربحة عبر الدفاع عن المواقف الاستفزازية، أن على الولايات المتحدة وديمقراطيات التعذيب الأخرى إصدار ما وصفه بـ «مذكرات التعذيب» في الحالات الطارئة التي تشبه سيناريو القنبلة الموقوتة. ويفترض أولاً أن «من الأفضل بالتأكيد تعذيب الإرهابي المذنب الذي يحجب بشكل غير قانوني المعلومات اللازمة لمنع ارتكاب عمل إرهابي بدلاً من ترك عدد كبير من الضحايا الأبرياء عرضة للموت»[1]،

تبريره إذا نفّذ من أجل منع وقوع ضرر أكبر. تريسي جوردون، «يمكن تبرير الحرب. ماذا عن التعذيب؟» خدمة أخبار الدين، 2009.

https://religionnews.com/2009/05/06/is-there-a-just-torture-doctrine-should-there-be/.

(1) آلان ديرشوفيتز، لماذا ينجح الإرهاب: فهم التهديد والاستجابة للتحدي، (نيويورك ولندن: مطبعة جامعة ييل، 2002)، ص 144. انظر أيضاً آلان ديرشوفيتز، «هل تريد ممارسة التعذيب؟ أحضر مذكرة»، سان فرانسيسكو كرونيكل 22 يناير 2002:
http://www.sfgate.com/opinion/openforum/article/Want-to-torture-Get-a-warrant-2880547.php

ويفترض ثانياً أن التعذيب سوف يُرتكب بالتأكيد إذا وقع مثل هذا الحدث. وبعبارة أخرى، يتفق الجميع على أن التعذيب ضد شخص واحد أفضل من هجوم إرهابي ضد العديد من البشر، لأنه ينطوي على تعرّض عدد أقلّ من الأشخاص لألم أقلّ؛ ثم يفترض أن الشرطة أو القوات العسكرية المسؤولة عن الأزمات الطارئة ستوافق على هذا الرأي وتقرر ممارسة التعذيب من أجل منع هذا الهجوم. وينتقل بدءاً من هذه النقطة إلى الاستنتاج بأن التعذيب في سيناريو القنابل الموقوتة يجب ألا يعاقب عليه القانون ضمن فئة محدودة من الظروف الاستثنائية، من أجل الحماية القانونية لعملاء القانون والنظام الذين، حسب ديرشوفيتز، يمارسون فقط الشيء الواضح والطبيعي الذي سيفعله أي منا في مثل هذه الحالة.

بعد مضيّ ثلاثة عشر عاماً، دافع دونالد ترامب مراراً وتكراراً عن التعذيب أثناء حملته الانتخابية. وقد فاز بالدعم لترشيحه للرئاسة في جلسات نقاش الجمهوريين من خلال الادّعاء بأنه سيعيد أسلوب التعذيب بالإيهام بالغرق «بل وحتى ما هو أسوأ من

ديرشوفيتز، «تفكير المعذب»، في التعذيب: مجموعة، محرر. سانفورد ليفنسون، الطبعة المنقحة، (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2004)، ص 257-280؛ ديرشوفيتز، هل هناك حق في التزام الصمت؟، (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2008)؛ ديرشوفيتز، «تعذيب الإرهابيين: هل هو ضروري - وهل يستحق الكذب بشأنه؟» عند ديرشوفيتز، إطلاق النار: الحريات المدنية في عصر مضطرب، (بوسطن ونيويورك ولندن: ليتل براون)، ص 470-479.

ذلك بكثير»[1]. وحاول في لقاء مع المجلة الدورية الأمريكية يو إس إيه توداي USA Today اتخاذ موقف متشدد بشأن الأمن القومي من خلال الادعاء بأنه «سيدعم ويؤيد استخدام أساليب الاستجواب المحسّنة [تعبير ملطف شائع للتعذيب] إذا كان استخدام هذه الأساليب سيعزز حماية وسلامة الأمة»، واستخدم مفردات جاك باور، بطل المسلسل التلفزيوني 24 الذي أنتجته شبكة فوكس التلفزيونية، ووظّفت الشخصية في كونها عضو في وحدة مكافحة الإرهاب 24، حيث وعد بأنه «سيفعل كل ما يلزم لحماية هذه الأمة وشعبها والدفاع عنها»[2]. وفي وقت لاحق، في أول مقابلة تلفزيونية له كرئيس للولايات المتحدة، دافع ترامب عن أسلوب التعذيب بالإيهام بالغرق، وادعى أن التعذيب «له فوائده دون أدنى شك»[3].

---

(1) جوناثان سوان، «ترامب يدعو إلى «جحيم أسوأ بكثير من الإيهام بالغرق»»، ذا هيل، 2يونيو 2016:
http://thehill.com/blogs/ballot-box/gop-primaries/268530-trump-calls-for-hell-of-a-lot-worse-than-waterboarding.

(2) دونالد ج. ترامب، «ترامب: سأفعل كل ما يتطلبه الأمر». أميركا اليوم، 15 فبراير 2016:
http://www.usatoday.com/story/opinion/2016/02/15/donaldtrump-torture-enhanced-interrogation-techniques-editorials-debates/80418458/

(3) ماثيو ويفر وسبنسر أكرمان، «يدعي ترامب أن التعذيب ناجح لكن الخبراء يحذرون من تكاليفه «الوجودية المحتملة»»، الجارديان، 26 يناير 2017:
https://www.theguardian.com/us-news/2017/jan/26/donald-trump-torture-absolutely-works-says-us-president-in-first-television-interview.

بالنظر إلى أن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يدافع صراحةً عن التعذيب في أي فرصة سانحة، وأنه عيّن جينا هاسبيل، العميل الميداني السابق في وكالة الاستخبارات المركزية مسؤولة عن إدارة موقع أسود لأحد سجون التعذيب [موقع أسود هو مصطلح عسكري يشير إلى المرافق التي تسيطر عليها وكالة المخابرات المركزية وتستخدمها الحكومة الأمريكية في حربها على الإرهاب لاحتجاز الإرهابيين]، ومن ثم إدارة وكالة الاستخبارات المركزية[1]، فإننا لا نبالغ حين نقول إن التشجيع على التعذيب هو من أخطر القضايا السياسية الدولية اليوم. ولكنها مع ذلك ليست مجرد مسألة تخص الولايات المتحدة.

لقد دافع الرئيس البرازيلي المنتخب حديثاً بول بولسونارو عن التعذيب، وصرّح في مقابلة تلفزيونية معه أنه «يؤيد التعذيب، والناس يؤيدونه أيضاً كما تعلم»؛ كما أوصى بالتعذيب كأسلوب للشرطة في المواقف الطارئة التي تتطلب التحقيق مع المتاجرين بالبشر والخاطفين[2]. وفي مكان آخر، قام الرئيس الفلبيني رودريغو

---

(1) أندرو سوليفان، «ترامب لا يتسامح مع التعذيب فقط - بل يحتفي به»، نيويورك ديلي انتيلجنسير، 6 أبريل 2018:
http://nymag.com/daily/intelligencer/2018/04/trump-isnt-merely-tolerating-torture-hes-celebrating-it. html.

(2) أندرو فيشمان، «جايير بولسونارو ينتخب رئيساً للبرازيل. اقرأ مواقفه اليمينية المتطرفة بكلماته الخاصة»، الانترسيبت، 28 أكتوبر 2018:
https://theintercept.com/2018/10/28/jair-bolsonaro-elected-president-brazil/

ماريانا سيمويس، «استقطاب البرازيل الرئيس الجديد، جاير بولسونارو، بكلماته

دوتيرتي بإضفاء الطابع المؤسسي على مظهر خطير جداً من مظاهر العنف، يشمل التعذيب، كجزء من حربه على المخدرات، وكذلك الرئيس السريلانكي ماهيندا راجاباكسا المتورط في جرائم حرب من ضمنها جرائم التعذيب. وتواجه بريطانيا أيضاً دعوات متكررة لإجراء تحقيقات قضائية بشأن تواطؤ أجهزتها الأمنية في ممارسات التعذيب بعد أحداث 11 سبتمبر وتطبيق نظام الترحيل الاستثنائي(1)، كما شاركت القوات البريطانية قديمًا في عمليات

الخاصة»، نيويورك تايمز، 28 أكتوبر 2018:
https: //www.nytimes. com /2018/10/28/world / americas / brazil-President-jair-bolsonaro-quotes.html.
انظر أيضاً، كلوديا كارنيرو، «أنا أدافع عن التعذيب: مقابلة مع جاير بولسونارو»، Istoe Gente، فبراير 14، 2000:
https://web.archive.org/web/20000526120540/
http://www.terra.com.br/ istoegente/28/reportagens/entrev_jair.htm

(1) انظر على سبيل المثال ديفيد ديفيس، «التحقيق تحت التعذيب هو الطريقة الوحيدة لقول الحقيقة في النهاية عن أحلك أيامنا». ديلي ميل، 1 أغسطس 2018:
http://www.dailymail.co.uk/ news/article-6016193/We-need-torture-inquiry-David-Davis-tells-Theresa-May.html
بالإضافة إلى، رسالة الحرية من التعذيب إلى تيريزا ماي على الموقع:
https://www. freedomfromtorture.org/news-blogs/21_06_2018/call_to_prime_minister_may_to_demand_a_public_inquiry_into_torture
أو رسالة جون لو كاريه إلى صحيفة التايمز كما وردت هنا:
https://www.freedomfromtorture.org/news-blogs/17_08_2018/torture_is_the_weapon_of_the_bully_the_coward_and_the_fool_john_le_carre_
وكذلك، رسالة مفوض الاتحاد الأوروبي لحقوق الإنسان إلى تيريزا ماي على الموقع:
https://www.coe.int/en/web/commissioner/-/commissioner-urges-the-uk-to-initiate-an-independent-judge-led-inquiry-into-counterterrorism-abuses

التعذيب، خاصةً في سياق العملية المطوّلة والمؤلمة لإنهاء الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية (في قبرص وعدن وكينيا وأيرلندا الشمالية، على سبيل المثال)[1]. ونظراً لإعادة إحياء التعذيب على الصعيد الدولي كقضية عالمية، يبدو من المناسب لمعارضي التعذيب إخضاع مبررات التعذيب التي تُرَوَّج في الخطاب الثقافي والسياسي الشعبي إلى التدقيق النقدي. وهذا هو الغرض من هذا الكتاب.

الدفاع عن التعذيب

بالإمكان تأطير الدفاع عن التعذيب على شكل سؤال، ولكن الاستنتاج الذي يرغب واضعو سيناريو القنبلة الموقوتة الحصول على إجابة له من قبل المشاركين ليس سؤالاً مفتوحاً في الواقع أو موضع تمحيص. فقد صُمِّمَ، كباقي التجارب الفكرية البيانية الأخرى، من أجل توجيهنا نحو استنتاج موضوع مسبقاً. في هذه الحالة، من المفترض أن نعترف بأنه على الرغم من أن التعذيب عادة

(1) للحصول على تفاصيل عن التواطؤ البريطاني في التعذيب، انظر إيان كوبين، بريطانيا القاسية: التاريخ السري للتعذيب، (لندن: بورتوبيلو، 2102)؛ براين دروهان، الوحشية في عصر حقوق الإنسان: النشاطية ومكافحة التمرد مع نهاية الإمبراطورية البريطانية، (إيثاكا ولندن: مطبعة جامعة كورنيل، 2017)؛ روث بلاكلي وسام رافائيل، «التعذيب البريطاني في الحرب على الإرهاب»، المجلة الأوروبية للعلاقات الدولية 2016:

https://dx.doi.org/10.1177/1354066116653455

أندرو مومفورد، «الحد الأدنى من القوة مقابل الوحشية: الاعتقال والاستجواب والتعذيب في حملات مكافحة التمرد البريطانية»، مجلة الأخلاق العسكرية، 11: 1 (2012)، ص 10-25:

https://dx.doi.org/10.1080/15027570.2012.674 240.

ما يكون سلوكًا خاطئًا، ولا يجوز على الإطلاق أن يمارس كإجراء روتيني، فإن حالة الأزمات الطارئة المذكورة في سيناريو القنبلة الموقوتة تضعنا أمام استثناءٍ خاص، وهو وضع فريد من نوعه يجعل التعذيب مفيداً بالفعل، ويقدم المساعدة المرجوة. ونتيجة للاعتراف بأن مثل هذه المواقف مقبولة، لم يعد بوسعنا أن نؤيد فكرة أن التعذيب دائماً خاطئ. إن لهذا الاعتراف عواقب سياسية هائلة. إذ من خلال طرح قضية متطرفة للغاية ينال فيها التعذيب مسوِّغاً أخلاقياً، يصبح خرق المحظورات المطلقة التي تقيّد التعذيب ممكناً وفق التفكير الأخلاقي والأدبي السائد ووفق القانون الوطني والدولي. أي أن سيناريو القنبلة الموقوتة بات حجة تدافع عن التعذيب وتؤيده، وتؤدي عملها هذا عن طريق تقويض أحد أهم المبادئ السياسية والأخلاقية في العالم عن سابق قصد. وبمجرد أن نعترف بأن التعذيب ليس خطأً لأنه قادر على إنقاذ أرواح بريئة، فإننا نمنحه الشرعية الأخلاقية، وحتى الصفة البطولية.

ما كان هذا ليعتبر مشكلة لو لم يكن سيناريو القنبلة الموقوتة مقنعاً جداً. لكنه، للأسف، حجة جذابة للغاية للكثير من الناس. يكتب الناقد السينمائي مارك لامبرت أن مشهد التعذيب في فيلم تيكن Taken «ملفت للنظر من حيث مقدار التعاطف الذي تمكن المخرج من إثارته لدى الجمهور،... لقد شهدت تصفيق الجمهور بأم عيني!»[1] وبالمثل، فإن كريستوفر هيتشنز يروي قصصاً عن

(1) مارك لامبرت، «مراجعة فيلم: تيكنذ»، مجلة الدين والسينما، المجلد، 13، رقم 1 أبريل 2009.

شخصية الشرطي مالون في دراما العصابات The Untouchables الذي «نال هتافاً حاراً عندما أطلق النار على رأس الجثة في أثناء الاستجواب لإقناع أحد أفراد العصابة بأنه كان جاداً للغاية»[1]. لم يعرف رجل العصابة الخاضع للاستجواب أن الرجل الذي أطلق عليه مالون النار كان ميتاً أساساً، لذا فإن هذا المشهد هو إعدام وهمي، وهو شكل صادم من أشكال التعذيب النفسي.

ومع ذلك، يجده الجمهور في عرض هيتشنز على الأقل، مشهداً مروّعاً، حيث يثبت مالون، الشخصية القاسية، الذكية، الذكورية من الطبقة العاملة، لكل شخص مهتم أنه يمارس عمله فعلاً بكل إخلاص.

وبتحديد أكثر، وجد العالمان السياسيان ريتشارد جاكسون وغاريث هول أن الجمهور ينظر إلى التدابير القوية على أنها عنصر مهم في عمل مكافحة الإرهاب. وقد أجريا مقابلات مكثفة مع أشخاص ليس لديهم خبرة مهنية في مجال مكافحة الإرهاب، واستنتجا أن فكرة «وجود حاجة حقيقية وشرعية لاستخدام الأساليب القسرية لمكافحة الإرهاب، بما فيها التعذيب في بعض الأحيان» كانت من أهم موضوعات الخطاب اليومي حول الإرهاب[2]. كما أظهرت

---

(1) كريستوفر هيتشنز، «تمرد السجن: ما تسبَّبَ به معذِّبون في سجن أبو غريب»، سليت، 4 مايو 2004.

http://www.slate.com/articles/news_and_politics/fight_words/2004/05/ison_mutiny.html

(2) ريتشارد جاكسون وغاريث هول، «الحديث عن الإرهاب: دراسة في الخطاب العامي»، سياسة 36: 3 (2016)، ص 296.

استطلاعات الرأي مراراً وتكراراً أن نسباً كبيرة من العينات التي تمثل السكان الديمقراطيين توافق على تبرير التعذيب في ظل ظروف سيناريو القنبلة الموقوتة. ففي استطلاع أجري عام 2016، على سبيل المثال، وافق 26 ٪ من البريطانيين و40 ٪ من الأمريكيين و50 ٪ من الإسرائيليين و70 ٪ من النيجيريين على احتمال قبول ممارسة التعذيب في ظل سيناريو القنابل الموقوتة. في الواقع، خلص التقرير إلى أن «نسبة أعلى بكثير من الناس في البلدان المتضررة من النزاعات توافق على تعذيب أسير من الجبهة المعادية»[1]. كذلك عام 2014، أبلغ 66 ٪ من الأمريكيين شركة يوجوف YouGov [شركة دولية على الإنترنت مختصة بأبحاث الأسواق ومقرها في المملكة المتحدة] أنه يمكن تبرير تعذيب إرهابي بحجة انتزاع المعلومات منه، وذكر 20 ٪ منهم أن التعذيب دائماً مبرر[2]، أي زيادة عن استطلاع مركز بيو للأبحاث لعام 2007 الذي وجد أن 43 ٪ من الأمريكيين وافقوا على أن استخدام التعذيب يمكن تبريره إذا

---

(1) اللجنة الدولية للصليب الأحمر. آراء الناس حول الحرب: وجهات نظر من ستة عشر دولة، (جنيف: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 2016)، ص 10.

(2) ويليام جوردان، «يجد الأمريكيون أنّ بعض حالات التعذيب مقبولة أكثر من غيرها»، YouGov.com، 14 ديسمبر 2014:

https://yougov.co.uk/news/2014/12/14/americans-find-some-tortures-more-acceptable-other/See the full YouGov poll results here: https://d25d2506sfb94s. cloudfront. net/cumulus_uploads/document/ bfq96e0tax/tabs_OPI_torture_20141211.pdf

استخدم للحصول على معلومات منقذة للحياة[1]. يبدو بالتأكيد أن سيناريو القنبلة الموقوتة له جاذبية كبيرة إلى حد ما.

لكن التعذيب لا يعدّ جريمة شائعة بحدّ ذاته. قد يكون لدى الناس في كثير من الأحيان تفسير واضح ومحدد لتصنيف التعذيب على أنه خطأ أخلاقي ومع ذلك يستمرون في قبول أي محاولة لتبريره. ويمكن لمقارنة بسيطة مع الاغتصاب أن توضح هذه النقطة. إن كلًّا من التعذيب والاغتصاب من الأشكال الخطيرة المؤلمة التي تسبب الأذى الشخصي الناجم عن ممارسة شخص واحد (أو العديد من الأشخاص) العنف المروّع على الضحية. لكن الحوار حول الفعلين الشنيعين متباين للغاية. قد يجادل الناس في أن الاغتصاب غير موجود أو لا يعدّ خطيراً، قد يسخرون منه أو يؤيدونه. لكنهم لا يعترفون بما يسببه من رعب شديد ثم يجادلون في احتمال أن يكون صائباً من الناحية الأخلاقية؛ إذ كلما أكد شخص ما بكل فظاعة أن هناك من يستحق الاغتصاب فإنهم يهددونه بتهمة العنف الجنسي بدلاً من الادعاء بأن ارتكابه لجريمة الاغتصاب سيكون له عواقب تعود بالخير على المجتمع، أو تمنع ارتكاب الجريمة على الأقل. إذاً، ما الذي يميز التعذيب عن الاغتصاب ويجعل الناس تعترف بأنه اعتداء خطير على شخص ما، ومع ذلك يمكن أن يأخذ طابع الفعل الفاضل؟

---

(1) انظر:
http://www.pewresearch.org/fact-tank/2008/06/13/torture-justified/

يسعى هذا الكتاب إلى الإجابة عن هذا السؤال من خلال دراسة الطرق التي يتّبعها سيناريو القنبلة الموقوتة (أكثر مبررات التعذيب ثباتاً عبر التاريخ من حيث الصفة البلاغية) من خلال التمثيلات الثقافية مثل الروايات والأفلام والمسرحيات والمسلسلات التلفزيونية. وسوف أوضّح بمزيد من التفصيل أدناه، أن الكتاب يركّز على التمثيلات الثقافية، لأن المسرحيات والروايات تؤدّي الوظيفة السياسية المتميزة خصوصاً في استكشاف ونقد وتطبيع وإضفاء الشرعية على الأفكار والعبارات المجازية المحورية، التي تعطي المعنى للنقاشات الأخلاقية والسياسية حول القضايا الرئيسية. وتعدّ الإنتاجات الثقافية الشعبية مواقع غنية وخصبة على وجه الخصوص لاستنباط المعنى السياسي وتداوله والتفاوض بشأنه، ومن شأنها أن تساعدنا على جعل الأفكار المجرّدة تبدو واضحة. أي تساعدنا هذه العروض من خلال تمثيلها للأفكار على شكل مشاهد تستكشف الأفكار وقصصاً وتفاعلات بين الشخصيات، على التمعن في أفكارنا حول العالم وحول العدالة وحول الصواب والخطأ؛ كما تُظهر لنا ما هو على المحكّ من بين أفكارنا السياسية وقيمنا الأخلاقية. ويعمل سيناريو القنبلة الموقوتة كحجّة لسبب مباشر: يفترض أن الأشخاص الذين يُطلب منهم النظر في مسألة التعذيب ضمن سيناريو القنبلة الموقوتة قادرون على تخيُّل موقفٍ يمكن فيه تجنب عواقب وخيمة في اللحظة الأخيرة بفضل تصرُّفٍ واحدٍ يقوم به الفرد البطل. فالثقافة الشعبية تجعل تصوّر سيناريو القنبلة الموقوتة أسهل وأكثر قبولاً من خلال تكرار

تمثيل هذه المواقف. وبالنتيجة يصبح من الأسهل تصوّر هذا السيناريو على أنه تجربة فكرية واقعية - أو على الأقل ذات مصداقية.

تتكون حجتي في هذا الكتاب من ثلاث مراحل تتعلق بالسمات المشتركة والإحداثيات الفكرية لروايات وتمثيليات التعذيب في سيناريو القنبلة الموقوتة. تنظر المرحلة الأولى في كيفية جعل التعذيب يبدو وكأنه أداة تحقيق. أي الطرق التي يمنح بها التعذيب قيمة نفعية واضحة، ويقدّم على أنه نشاط شرعي أو بوليسي أو استقصائي، وإن كان مكروهاً، وكيف يمكن تسخيره كتقنية موضوعية احترافية.

وتتناول المرحلة الثانية طريقة تصوير التعذيب على أنه أقل شراً من خلال إظهار مقدار القسوة والشر في العنف الذي سيمنعه (على سبيل المثال الإرهاب والقرصنة والعنف الجنسي والإتجار بالبشر، والاختطاف، واختطاف الطائرات، والاغتيال، والتحرش الجنسي بالأطفال، وجرائم العصابات، وما شابه)، مثل الشرور الممنهجة المستمرة التي هي أسوأ بكثير من مجرد ممارسة محدودة للتعذيب أثناء الاستجواب. وتصف هذه المرحلة سيناريو القنبلة الموقوتة بأنه تعبير عن الأخلاق العواقبية بناءً على فكرة **النفعية** التي تفيد بأن إيذاء شخص واحد سيء أخلاقياً أفضل من إيذاء العديد من الأبرياء. مما يسمح للتعذيب باكتساب رداء يظهره كصيغة أكثر قبولاً للإيذاء المتناسب والخاضع للسيطرة، أي أنه لا يستحق الدفاع عنه وحسب بل هو سلوك فاضل أيضاً.

تركّز المرحلة الثالثة والأخيرة على كيفية إظهار التعذيب كوسيلة

لتعزيز السلطة الذكورية. غالباً ما يُصوَّر التعذيب على أنه واجب أبوي ومكون ضروري للاضطلاع بمسؤولية الحماية، وبالتالي فهو يحشد ويعزز الخطابات غير المتجانسة حول الطرق التي يُتوقَّع من الرجال أن يسلكوها ليكونوا آباءً صالحين، ولحماية وتعزيز مؤسسات الأبوة والعائلة والذكورة.

ودون هذه الإحداثيات المفاهيمية، التي هي في الوقت نفسه مؤثرة (عاطفية) وأيديولوجية (سياسية)، فإن سيناريو القنبلة الموقوتة سيفقد الكثير من قوته المقنعة - ربما إلى الحد الذي يعتبر فيه غير مفهوم، ولن يُنظر له على أنه تدخُّلٌ فعّال في النقاشات الدائرة حول أخلاقيات التعذيب. ومن خلال تجميع هذه الإحداثيات الفلسفية والسياسية والعاطفية يُمنح التعذيب في حالات سيناريو القنبلة الموقوتة مظهر السلوك الذي يستحق الثناء أخلاقياً.

تفكيك القنبلة الموقوتة

قبل المضي في هذه الحجج، أودُّ أن أستغلَّ بضع صفحات في شرح سيناريو القنبلة الموقوتة بمزيد من التعمق من خلال وضعه ضمن سياقه الفلسفي والتاريخي. وسيبيّن هذا أيضاً لماذا لا يمكننا أن نأخذه على محمل الجد، ولماذا علينا معارضة الرسالة التي تهدف إلى ترسيخ التعذيب.

ورد في نص كتبه ديفيد لوبان أن سيناريو القنبلة الموقوتة هو:

من بين أمور أخرى، أحد أساليب الدعاية المعاصرة الفعالة

جداً. بدايةً لأنه منتشر في كل النقاشات الدائرة حول التعذيب تقريباً. والأهم من ذلك لأنه سيناريو بسيط وسهل الفهم وقوي عاطفياً، إلى جانب أن لديه إجابة صحيحة واحدة فقط، هي الإجابة المؤيدة للتعذيب[1].

ولهذه الأسباب تحديداً، فإنه سيناريو خطير للغاية من الناحية السياسية. إن وضوحه المباشر، وقوته البلاغية المقنعة، وقدرته على الإقناع العاطفي بسلاسة تساعده على جذب الجمهور وإقناع الناس أن بالإمكان التغاضي عن التعذيب في ظل بعض الظروف الصعبة، وإن كان على مضض. كما أن هذه الأسباب تحجب للأسف حقيقة أن هذا السيناريو غير متّسق فكرياً، ولا يمكن الدفاع عنه أخلاقياً، وغير واقعي من أساسه. وقد تعرَّض لانتقادات واسعة من هذا القبيل من قبل العديد من الكتاب، ومنهم إلين سكاري وبوب بريشر وهنري شو وجان ماريا أريجو، ومؤخراً، رون إ. هاسنر[2].

---

(1) ديفيد لوبان، «عدم التفكير في سيناريو القنبلة الموقوتة»، أوراق بحث قانون جورج تاون، 2008، /http://ssrn.com الملخص = 1154202، ص 4.

(2) للحصول على انتقادات فلسفية وسياسية شاملة لسيناريو القنبلة الموقوتة، انظر على سبيل المثال سياسة التعذيب في الثقافة الشعبية: دور التمثيل في نقاش التعذيب بعد أحداث 11 سبتمبر، (لندن ونيويورك: روتليدج، 2016)، ص 22-28؛ جان ماريا أريجو، «حجة النفعية ضد التعذيب أثناء استجواب الإرهابيين». أخلاقيات العلوم والهندسة 10: 3 (2004)، ص 543-572؛ بوب بريشر، التعذيب والقنبلة الموقوتة (أكسفورد: بلاكويل، 2007)؛ فيتوريو بافاتشي وجان ماريا أريجو، «التعذيب والإرهاب والدولة: تفنيد حجة القنبلة الموقوتة»، مجلة الفلسفة التطبيقية 23: 3 (2006)، ص 355-373؛ ميخائيل ديفيس، «التبرير الأخلاقي للتعذيب وغيره من ضروب المعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة»، مجلة الفلسفة التطبيقية الدولية 19:

ولكن فكرة أن التجربة الفكرية غير واقعية لا تعدّ مشكلة بالضرورة، حيث تصمم التجارب الفكرية لتوضيح النقاط الأخلاقية العامة بدلاً من أن تعمل كأمثلة صارمة على المصداقية التاريخية. ولكن بالنسبة لسيناريو القنبلة الموقوتة، فإن طبيعته غير الواقعية غالباً ما تدحض المنطق الذي بني عليه. ولكي يكون السيناريو مقنعاً، يجب بالضرورة أن يكون مجرّداً ومبالغاً فيه - في الواقع يجب أن يكون سخيفاً إلى درجة التفاهة. يكتب هاسنر، قبل تعداد الإخفاقات العديدة التي تعتري منطقه: «لو لم يكن سيناريو القنبلة الموقوتة مؤثّراً للغاية، لكان مثيراً للضحك»[1].

---

2 (2005)، ص 161 - 178:

http://dx.doi.org/10.5840/ijap200519215

ماثيو هانا، «التعذيب والقنبلة الموقوتة: الحرب على الإرهاب كتخيّل جغرافي للسلطة والمعرفة»، حوليات الرابطة الأمريكية للجغرافيين، 3، 96 (2006)، ص 622-640:

http://www. jstor.org/stable/4124436

رون إ. هاسنر، «أسطورة القنبلة الموقوتة»، واشنطن الفصلية، 41: 1 (2018)، ص 83-94:

http://dx.doi.org/10.1080/0 163660X.2018.1445367

ديفيد لوبان، «الليبرالية والتعذيب والقنبلة الموقوتة»، مجلة قانون فرجينيا، 91 (2005)، ص من 1425 إلى 1461 إيلين سكاري، «خمسة أخطاء في منطق ألان ديرشوفيتز». في: ليفينسون، س. (محرر) التعذيب: مجموعة، الطبعة المنقحة، (نيويورك وأكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2004)، ص 281-290؛ هنري شو، «التعذيب في دريم لاند: تفكيك القنبلة الموقوتة»، كيس ويسترن ريزيرف، مجلة القانون الدولي 37: 2 (2006)، ص 231 - 239:

http://scholarlycommons.law.case.edu/jil/vol37/iss24/

(1) هاسنر، «أسطورة القنبلة الموقوتة»، ص 84.

لنأخذ بعين الاعتبار مثلاً التفاصيل التي من المتوقع أن يقبلها الجمهور على أنها ذات مصداقية. نظراً لصيغته الكلاسيكية، يتطلب سيناريو القنبلة الموقوتة إخفاء قنبلة موقوتة في مكان حساس من قبل شخص متعصب من فئة ما، يُقبَض عليه لاحقاً من قبل الشرطة ويُمارَس عليه التعذيب ليكشف عن موقع القنبلة قبل أن يصل العد التنازلي إلى الصفر وانفجار القنبلة. لكن، على سبيل المثال، كيف تمكنت قوات الأمن من القبض على من وضع القنبلة في الوقت المناسب دون الحصول على أي معلومات أخرى حول هوية شركائه أو مكانهم أو تحركاته أو المواقع المحتملة للقنبلة؟

لماذا استخدم قنبلة موقوتة ذات عدّ تنازلي طويل بما يكفي للسماح باكتشاف موقعها، ومن ثم نزع فتيلها بسهولة دون تشغيل أجهزة التلقيم أو العبوات الناسفة، بدل أن يستخدم ببساطة سلاحاً انتحارياً مرتجلاً ضمن مركبات مفخخة، كما هو الحال في العديد من الهجمات الإرهابية الأخيرة في أوروبا، وفي هجمات 9/ 11؟ وأيضاً، كيف يمكن أن تكون الشرطة على يقين تام من أنها قبضت على المشتبه فيه الصحيح؟ كيف يعرفون أن هذه القنبلة موجودة فعلاً في الواقع؟

تستند إلين سكاري إلى هذه النقطة بالذات. لقد كتبت: «إنّ ما يجعل سيناريو القنبلة الموقوتة غير مقنع هو فكرة أنه في عالم تكون فيه المعرفة غير مكتملة عادة، يتملّكنا الإلهام فجأةً، وندرك أن الشخص الذي أمامنا يحمل هذه المعلومات الحاسمة حول مكان

القنبلة»[1]. وتسأل ساخرةً: لَمَ لا يتملّكنا الإلهام أيضاً بشأن تحديد مكان القنبلة؟ الجواب على هذا بالطبع هو أن واضعي سيناريو القنبلة الموقوتة يحاولون إثبات نقطة معينة تتعلق بوظيفة التعذيب كوسيلة لاكتساب المعرفة التي ستكمل حلقة فهمهم التام للوضع. يبدو أن الشرطة أو القوى العسكرية التخيلية لديها معرفة كاملة بما يحدث بصرف النظر عن التفصيل الوحيد الذي يهم في نهاية المطاف (موقع القنبلة)، ويتطلب السيناريو، لسبب ما، الوسيلة الوحيدة الممكنة للحصول على هذه المعلومة بالذات وهي التعذيب. لماذا لا يوجد إجراء عاجل آخر؟ لماذا لم توفِّر المراقبة شبه الكاملة التي نعيش فيها، على سبيل المثال، أي معلومات مفيدة؟

وعندما يتعلق الأمر بالتعذيب الفعلي، هناك العديد من الأسئلة الأخرى. كيف يعرفون أن هذا المتعصب لا يمكن إقناعه بالاعتراف إلا من خلال تطبيق الإكراه العنيف؟ لماذا التعذيب هو الشيء الوحيد الذي ينفع كملاذ أخير؟ كيف ولماذا تكون الشرطة مستعدة للغاية لممارسة التعذيب، رغم انه جريمةٌ أخلاقية وعملٌ وحشي يعتبره العديد من أفراد الشرطة وأجهزة المخابرات مقزّزاً، وغير أخلاقي، ويقود إلى نتائج عكسية؟ كيف يعرف ممارسو التعذيب كيف يحطمون مقاومة الإرهابيين - أي كيف ولماذا يمكن للشرطة اللجوء مباشرة إلى ممارسي التعذيب المدرَّبين والمتخصصين وذوي القدرات الموثوقة، الذين يعرفون بالضبط ما يجب فعله

(1) سكارى، «خمسة أخطاء في منطق ألان ديرشوفيتز»، ص 284.

بجسم الشخص لإقناعه بالبدء في التعاون؟ ولماذا، في هذه الحالة، عندما يكون واضع القنبلة شخص متعصب متطرف يُفترَض أنه دُرّب على المقاومة أو الكذب، لا يؤدي التعذيب إلى اعترافه على الفور وحسب، بل أيضاً إلى سرد مفصل لمكان القنبلة والمعلومات المطلوبة لإيقاف العد التنازلي لها؟ إذا كان واضع القنبلة يعرف أن عليه تحمل المعاناة الجسدية لفترة قصيرة من الزمن فقط، فما الدافع المحتمل الذي يمكن أن يجبره على التعاون مع من يمارس التعذيب عليه، ويكنّ له كراهيةً شديدة تكفي لتدبير ما يسبّب دماره النهائي؟ ربما السؤال الأكثر جوهرية: كيف يمكن للمحققين تحديد أيّ المعلومات حقيقية ومؤكدة، والتمييز بين الأكاذيب وأنصاف الحقائق والمراوغات والتضليل من جهة، والمعلومات ذات القيمة الحقيقية من الجهة الأخرى؟

ذكر هنري شو أنّ السيناريو يصبح معقولاً من خلال المثالية التي «تضفي بريقاً» والتجريد «الذي يزيل الغبار»[1]. أي، تضاف ميزات إيجابية، مثل اليقين بأنّ الشرطة ألقت القبض على الرجل المناسب وقادرة على جعله يعترف في الوقت المناسب، وتطمس الميزات السلبية، مثل حقيقة أنّ التعذيب المجدي تحت ضغط الوقت يتطلب وجوداً مسبقاً للقدرة على تعذيب الناس بسرعة وتحليل المعلومات المنتزَعة (بعبارة أخرى إضفاء الطابع المؤسسي على التعذيب)، أو حقيقة أن هجمات أسلحة الدمار الشامل

(1) شوي، «التعذيب في دريم لاند: التخلص من القنبلة الموقوتة»، ص 231 - 233.

والقنابل الموقوتة ليست ضرورية للإرهاب الحديث. لكن في الواقع أكثر الأجزاء قذارة وإزعاجاً التي تُحجَب عند تأطير سيناريو القنبلة الموقوتة هي حقيقة أنها سيناريو هزيمة. كما كتب بوب بريشر في عمله «التعذيب والقنبلة الموقوتة»، أنه في حال تجسّدت هذه الأزمة الحساسة جداً للوقت، فـ «لن يكون بوسعنا القيام بأي شيء، لقد فات الأوان»[1]. لا يوجد سبب للاعتقاد بأن التعذيب سينقذ الموقف في اللحظة الأخيرة؛ فالأزمة مستعصية أساساً، ولا يسعنا في هذه المرحلة فعل أي شيء من شأنه أن يمنع القنبلة من الانفجار. إنّ فكرة ضرورة اللجوء إلى التعذيب هي قطعاً ما يظهر لنا أنّ الأوان قد فات: لا يمكن فعل أي شيء مجدٍ، لذا فإنّ الخيار الوحيد الذي يمكن تخيّله هو العنف التعسفي والقاسي واليائس للتعذيب، والذي يُرتكب كنوع من الانتقام الوقائي. إنّ تأطير سيناريو القنبلة الموقوتة مضلِّل للغاية لدرجة أنه يحجب حقيقة التعذيب كنشاط طويل الأمد وبطيء ومدمّر بلا رحمة، وأن لا علاقة له بحلّ المشاكل وشيكة الوقوع. وبالعودة إلى كلمات إيلين سكاري، يجدر التأكيد على أنّ حالات القنبلة الموقوتة «لا تتوافق مع آلاف حالات [التعذيب] التي تحدث في الواقع» في جميع أنحاء العالم اليوم[2].

(1) بريشر، التعذيب والقنبلة الموقوتة، ص 87.

(2) سكارى، «خمسة أخطاء في منطق ألان ديرشوفيتز»، ص 282.

لكن هذا النقد الذي يؤكد أن السيناريو مثيرٌ للسخرية بكل ما فيه، محدودٌ للغاية، ويأخذ تفاصيل السيناريو بصيغته الكلاسيكية كما هي في ظاهرها، ويتجاهل مشكلتين، وربما أكثر، في غاية الأهمية. أولاً: صُمِّم السيناريو ليوضح نقطة عامة حول وضع يجوز فيه التعذيب، ويمكن تعديل تفاصيله بطرق لا تُعَدّ ولا تُحصى دون المساس بالفرضية المركزية. ولا تؤثر الثغرات البلاغية العديدة التي كشفتها في السيناريو عبر الفقرات السابقة إطلاقاً على الحجة الأساسية التي يقدِّمها، والتي تنص ببساطة على أنه إذا كان بإمكانك إيقاف حدوث شيء سيء عن طريق القيام بشيء آخر سيء ولكن ليس بالسوء الذي تريد إيقافه، فعليك ألا تتردد. وهذا بالضبط هو الجوهر الراسخ للحجج النفعية (فكرة أن على المرء اختيار أهون الشرين إذا أجبر على ذلك) وتجسد الغاية من السيناريو، ولا يجري التعاطي مع هذا الشاغل المركزي بأي شكل من الأشكال عبر الإشارة إلى أن الطريقة المعتمدة لتجسيده غير مقنعة. بعبارة أخرى، نرى أن الغاية الأخلاقية العامة للسيناريو تنقذه من أي هجوم على تفاصيل أي تصور موضوع له.

ثانياً: على المرء أن ينتقد الطريقة التي يعمل بها سيناريو القنبلة الموقوتة من الناحية المادية. كما يجب انتقاده سياسياً كفكرة يمكن تتبع موقعها عبر مسارات تاريخية محددة وله دور بلاغي وسياسي في سياقات مادية معينة، ويولِّد تأثيرات سياسية ومادية وبدنية محددة. ربما يعد هذا النقد الأكثر أهمية لسيناريو القنبلة الموقوتة. لا ينبغي أن يقتصر هذا النقد على الإشارة إلى تناقضات السيناريو الفلسفية،

أو القول بأن ما يحدث في فيلم «اللامعقول Unthinkable» أو رواية «السينتوريون» لا يمكن أن يحدث «حقا» في الواقع، بل يجب أن نأخذ في الاعتبار موقعه في الظروف التاريخية والسياسية الحقيقية والطريقة التي يستخدم بها لتبرير الفظائع التي تحدث في العالم الحقيقي. إنه مثال لما يسمّيه الكاتب أرسطو نيكولايديس، بعد ستانلي كوهين، «الإنكار الضمني»، وهو شكل من أشكال التنصل الثقافي والسياسي من الفظائع التي يبرِّر بموجبها ما حدث. وفي سياق الإنكار الضمني، تُعرّف الضرورة بأنها شكل من أشكال التبرير النفعي والذرائعي، وتتجسد في أنماط معينة من الردود مثل: «كان علينا القيام بذلك» و«لم يكن هناك بديل»[1].

إنّ ما سبق ذكره يعني أنه في الوقت نفسه الذي يعترف فيه السيناريو بارتكاب فظائع، فإنه يلغي أي إمكانية لمحاسبته عليها أو التعامل مع سماتها وعواقبها عبر تقديم المبرّرات الأخلاقية. ومن خلال إظهار أوراق الاعتماد الأخلاقية المصدّقة لذريعة ارتكاب الفظائع، تنكر حجة سيناريو القنبلة الموقوتة نهائياً أنها فظائع أساساً. إنها حجة مؤيدة للتعذيب تظهر بشكل موثوق، وتنتشر عندما تواجه الديمقراطيات تهديدات إرهابية أو تصاعداً في أنماط الجريمة السياسية غير الشائعة على وجه الخصوص، لأن هذه الديمقراطيات لا تستطيع دعم التعذيب التأديبي الروتيني علناً. (لا علاقة لها

(1) تلفزة مكافحة الإرهاب: التعذيب والإنكار والاستثناء في حالة «مسلسل 24»، الاستمرارية، 25: 2 (2011)، ص 215:
http://dx.doi.org/10. 1080 / 10304312.2011.553942

بالاستبداد، حيث يعلم الجميع أنهم يمارسون التعذيب دون رادع، ولا يهتمون بمنح التعذيب صفة الشرعية الأخلاقية).

هناك الكثير من الأمثلة على الحكومات الحديثة التي تستخدم سيناريو القنبلة الموقوتة، أو حجج التعذيب المشابهة لها، للتقليل من شأن جرائمها أو إضفاء الشرعية عليها. يسجل تقرير لجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب إفريقيا أنه في ظلّ الفصل العنصري في جنوب إفريقيا «كان هناك بعض التعاطف مع أفراد [الشرطة] الذين استخدموا التعذيب» في محاولة للحصول على معلومات كان من الممكن أن تؤدي إلى إنقاذ الأرواح أثناء مواجهة المؤتمر الوطني الأفريقي ANC[1]. وبالمثل، في الأحياء الأوروبية من الجزائر العاصمة خلال الثورة الجزائرية (1954-1962)، حاول الجيش الفرنسي إخضاع الحركة الوطنية بعنف شديد، وكانت الحجج التي تفيد بأن التعذيب ارتكب من أجل منع الفظائع الإرهابية شائعةً[2]. تشير كارولين إلكينز في كتابها المعتقل البريطاني Britain's Gulag، إلى تاريخ الفظائع البريطانية خلال انتفاضة ماو ماو في كينيا، حيث لاحظ الضباط الاستعماريون أن «هناك حالات تكون فيها مثل هذه الأساليب ضرورية، كما لو أنها حالة طوارئ» - ويقصد بـ

(1) لجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب أفريقيا، تقرير لجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب أفريقيا، المجلد السادس، 2003، ص 207:
http://www.justice.gov.za/trc/report/ finalreport/vol6_s3.pdf

(2) أندرو هوسي، الانتفاضة الفرنسية: الحرب الطويلة بين فرنسا وعربها، (لندن: جرانتا، 2014).

«هذه الأساليب» الاعتقال والتعذيب والإعدام[1]. اعترف الآن ديرشوفيتز بأن سيناريو القنبلة الموقوتة يمثل استثناءً للحظر المطلق على التعذيب، وأن ذلك سمح باستخدامه من قبل الشرطة والمحاكم الإسرائيلية كشرعية شاملة لنظام التعذيب المنتشر[2]. هذه هي المغالطة الكلاسيكية للانزلاق في النتائج (مغالطة المنحدر الزلق): إذ بمجرد توفر الحجة القانونية القائلة بأن التعذيب مسموح في سيناريوهات الحد الأقصى، سوف تظهر مثل هذه السيناريوهات أكثر فأكثر.

ثمة عدد هائل من الأمثلة عن ذلك في سياقنا الحالي الخاص بالحرب العالمية على الإرهاب التي تقودها الولايات المتحدة. وغالباً ما استشهد مهندسو غزوات العراق وأفغانستان بسيناريوهات القنابل الموقوتة دفاعاً عن التعذيب. على سبيل المثال، استشهد دونالد رامسفيلد وكارل روف في مذكراتهما بحجة سيناريو القنبلة الموقوتة التي وضعها السيناتور الديمقراطي تشاك شومر. فقد صاغ شومر حجة سيناريو القنبلة الموقوتة عام 2004 ولاحظ بعد ذلك أنه «من السهل الجلوس على كرسيِّك المريح والقول إن من غير الممكن على الإطلاق استخدام التعذيب. لكن عندما تكون في خندق المعركة، فإن الأمر مختلف للغاية»[3]. يرى هؤلاء الجمهوريون أن القدرة على الاستشهاد بحجة مسؤول ديمقراطي

---

(1) إلكينز، جولاج البريطاني، ص 65.

(2) ديرشوفيتز، لماذا ينجح الإرهاب؟، ص 140.

(3) دونالد رامسفيلد، المعروف وغير المعروف: مذكرات، (نيويورك: سنتينل، 2011)، ص 585؛ كارل روف، الشجاعة والعواقب: حياتي كمحافظ في القتال، (نيويورك: إصدارات ثريشولد، 2010)، ص 297-298.

في سياق عرض حججهم لتبرير التعذيب، تمكّنهم من منح دفاعهم عن التعذيب مظهر الموضوعية من كلا الحزبين؛ والقصد من تجاوز الانقسام السياسي والاعتماد على حجة شومر، هو أن تبدو قضاياهم محايدة وواقعية كشيء يتفق عليه الجميع حتى خصومهم (وبالفعل، يظهر استغلال شومر لهذه الحجة أن الدفاع عن التعذيب بأي حال من الأحوال ظاهرة محافظة). في موضع آخر، أشار الخبير القانوني جون يو، الذي صاغ تشريعات سهّلت أنظمة الاستجواب في برنامج التعذيب بعد 11 سبتمبر، إلى سيناريو القنبلة الموقوتة على أنه «سيناريو العالم الواقعي» الذي يجب أخذه بعين الاعتبار، وزعم أنه سيضفي الشرعية على التعذيب[1].

على الرغم من انتقادات أوباما القوية لبرنامج التعذيب، فإن إدارته لم تكن بأي حال من الأحوال مستثناة من التواطؤ مع ممارسة التعذيب. عام 2009، أشار ليون بانيتا في جلسة استماع ترشيحه في مجلس الشيوخ لمنصبه كمدير لوكالة الاستخبارات المركزية، إلى وضع سيناريو القنبلة الموقوتة كمبرر محتمل لتكتيكات الاستجواب التي تفوق شدة تلك المستخدمة في الممارسة العادية[2]. ولطالما ادعى

(1) لجنة الاستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ، دراسة اللجنة لبرنامج الاعتقال والاستجواب في وكالة المخابرات المركزية. نيويورك تايمز، 9 ديسمبر 2014، ص 181:
http://www.nytimes.com/interactive/2014/12/09/world/cia-torture-report-document.html.

(2) «بانيتا منفتح على أساليب أكثر صرامة في بعض حالات الاستجواب لدى وكالة المخابرات المركزية»، نيويورك تايمز، 5 فبراير 2009:
https://www.nytimes.com/2009/02/06/us/ policy/06cia.html

الرئيس ترامب أن الاستجواب يجب أن يكون أكثر صرامة، خاصة في ظروف تشبه سيناريو القنبلة الموقوتة. وتلك بالتأكيد ليست مسألة تخص الولايات المتحدة وحدها. عام 2015، وصف ممثلو وكالات الاستخبارات البريطانية التعذيب في سيناريوهات القنبلة الموقوتة بأنه أمر لا مفرّ منه ويمكن تبريره أخلاقياً، وذلك عندما نشرت تقارير تفيد بأن التعاون مع أجهزة المخابرات السعودية، التي كانت تمارس التعذيب بالتأكيد، أدى إلى إحباط مؤامرة إرهابية قبل لحظات من نجاحها على ما يبدو[1].

وتعود أهمية هذا الأمر إلى أنّ انتشار الأوهام الرجعية حول العدالة العنيفة بإمكانه تقويض الدعم لسيادة القانون في نظر الجماهير الشعبية (قانون حقوق الإنسان مثلاً وانعدام الشرعية الدولية للتعذيب)، وبإمكانه أيضاً تشجيع الناس على قبول التعذيب على أنه أقل شراً[2]. لاحظت حنا آرنت عام 1964 أن الحجج التي تحاول إقناعنا بقبول الشر الأهون تؤدي إلى «قبول الشر في حد ذاته»[3].

---

(1) جيمي ميريل، وآخرون، «كشف: كيف استخدم التعذيب لإحباط مؤامرة القاعدة لتفجير طائرتين قبل 17 دقيقة من الانفجار؟»، الاندبندنت، 1 مارس 2015:
http://www.independent.co.uk/news/uk/home-news/revealed-how-torture-was-used-to-foil-al-qaeda-plot-to-bomb-two-airliners-17-minut es-before-10077722. html

(2) مالون، ماري فران ت، «هل لدى هاري القذر الجواب؟» النزاهة العامة، 13، 1 (2010)، ص 75:
http: // dx.doi.org/10.2753/PIN1099-9922130104

(3) حنا آرنت، «المسؤولية الشخصية في ظلّ الديكتاتورية» في المسؤولية والحكم، محرر. جيروم كون (نيويورك: شوكن بوكس، 2003)، ص 37.

وفي روايته «فنّ الحرب الفرنسية» يقدم ألكسيس جيني تفسيراً لحجّة سيناريو القنبلة الموقوتة في سياق حرب الاستقلال الجزائرية. يقول تروم باساك، المتحدث باسم الجيش الفرنسي، في تصريح للصحافة: «إذا قبضنا على إرهابي نعرف أنه زرع قنبلة وأخضعناه لاستجواب سريع، فإننا نتجنب بذلك وقوع المزيد من الضحايا. نحن بحاجة للحصول على معلومات كهذه بسرعة. بأي وسيلة كانت». ويضيف الراوي في كتاب جيني التعليق التالي:

إن وضعاً كهذا لا مجال للّوم فيه. ويحق القول بأن الحجة لا تشوبها شائبة. الحجج دائماً سليمة تماماً لأنها مصممة لتكون كذلك، إلا في أيدي الحمقى. صحيح أنه في حال القبض على إرهابي معروف بزرع القنابل، يجب إمطاره بوابلٍ من الأسئلة. إمطار أو قصف أو تدمير، أو رمي، لا يهم. المهم هو أن يعترف بسرعة. وبالتالي وفقاً لهذا المنظور لا مجال لأي لوم أو تساؤل. ولكن في الواقع لم يسبق لهم أبداً أن اعتقلوا شخصاً يعلمون علم اليقين أنه زرع عشرين قنبلة. أو اعتقلوا 24000 رجل دون معرفة ما فعله أي واحد منهم[1].

يوضح لنا جيني بإيجاز المشكلة الرئيسية في سيناريو القنبلة الموقوتة، إنه ليس مجرد افتراض ساذج يُستخدم من قبل أشخاص محددين ضمن سياقات محدّدة وفي أوقات محدّدة بهدف القيام بشيء واحد وهو تبرير وغفران التعذيب الحقيقي الذي يمارسه البشر

---

(1) جيني، فن الحرب الفرنسي، ص 493.

الحقيقيون ضد غيرهم من البشر الحقيقيين. في جميع الحالات التاريخية التي ذكرتُها، حاولت الدول تبرير التعذيب الممنهج وانتهاكات حقوق الإنسان من خلال الإشارة إلى فكرة تعتمد على حالة الأزمات الطارئة لمرّة واحدة، والتي وُضِعَت فقط لخلق الأعذار عن فعل معترف به دولياً كجريمة حرب، والذي لا يجوز أبداً منحه صفة الشرعية.

بنية الفطرة السليمة

إن سيناريو القنبلة الموقوتة يدمج بسهولة ومرونة في السرد، لذلك أصبح واسع الانتشار جداً، إذ نجده في الخطاب الفلسفي والجدل السياسي ومجموعة هائلة من التمثيلات الأدبية والسينمائية والموسيقى الشعبية. ويمكن لهذا الاتساع والقدرة على التكيف أن يفسر استمراره التاريخي كما يتيح المجال لتفسير جاذبيته، ولكن هذا يعني في الوقت نفسه وضع نظريةٍ لسيناريو القنبلة الموقوتة تأخذنا في عدد من الاتجاهات. فمن الممكن أن يغرينا مثلاً عملٌ لـ جان بودريلارد بالإشارة إلى السيناريو على أنه محاكاة، أو نقده على أنه صورة زائفة للواقع باتت تحل محل الواقع نفسه. لكنني أجد رولان بارت أكثر فائدة هنا. في كتابه الميثولوجيا، أجرى بارت تحليلاً بارعاً لمجموعة من الصور والمفاهيم الاجتماعية التي تشكل البنية التركيبية لما هو واضح (بدءاً من فقاعات الصابون، إلى تصميم السيارات، إلى لقطة قريبة بالكاميرا لـ غريتا غاربو)، أو بعبارة أخرى، الطابع والجوهر الفكري لـ «العرض الزخرفي لما

يجري بصمت»[1]. أي أن الحياة العادية لا تعني أبداً «أنّ»: الأفكار والصور والقصص التي تقودنا أثناء تفسيرنا وفهمنا للتجارب اليومية يحددها السياق التاريخي والسياسي والسلطوي.

ويعدّ سيناريو القنبلة الموقوتة مقنعاً لأن هيكله الإيديولوجي والعاطفي متناغمٌ مع علاقات القوة الكامنة في البنية الطبيعية للشعور اليومي. إذ لا يعتمد في المقام الأول على استراتيجيات الإقناع الفكري العقلاني، بل يعتمد على الملامح العاطفية والسياسية التي تعزِّز شعوراً بالحتمية، أو بالبداهة. وللسيناريو جذوره في مجموعة واسعة من الأفكار الفلسفية والجمالية والسياسية. فمثلاً، عندما تتعلق تجربة فكرية بتحديد أهون الشرور في حالةٍ تنطوي على ضررٍ لا مفرّ منه، يصبح سيناريو القنبلة الموقوتة مجرد تكرار لمعضلة العربة the trolley problem، ومشكلة الأيدي القذرة لدى الحكومة، ومشكلة هاري القذر (سوف أتحدث بالتفصيل عن هذه المواقف في الفصل الثاني). لكنه مشبع وقائم على شعورٍ بالإلحاح العاطفي الواضح الذي يجعل الردّ الإيجابي على سؤال ما إذا كان التعذيب جائزاً يبدو حتمياً وبديهياً وواضحاً ولا يرقى إليه الشك، ولا يمكن أن ينجح الأمر بدونه.

إن الأيديولوجيا السياسية متأصلة في الحياة اليومية من خلال العديد من الوسائل، أهمها نظام تعميم الثقافة الشعبية. حيث تُعتبر

---

(1) رولان بارت، الأساطير، ترجمة: أنيت لافرز (لندن: فينتاج، 1993 [1957])، ص 11.

الأفكار والمواقف المستمدة من مخزون التمثيلات الثقافية المتنوعة والمتجددة باستمرار أمراً محورياً في بنية سيناريو القنبلة الموقوتة، وهو مخزون مرنٌ وقابلٌ للتكيّف، لكنه متناغمٌ على الدوام. وتعزز جاذبية هذا الشعور الملحّ بالصواب على وجه الخصوص من خلال مجموعة متنوعة من طرق سرد القصة المحورية لسيناريو القنبلة الموقوتة وإعادة سردها. تسمح له عمليات إعادة السرد هذه باكتساب عمقٍ ونطاقٍ عاطفيين هائلين ومعقدين للغاية، مما يجعله بالطبع أكثر إقناعاً. على سبيل المثال، في حلقة من مسلسل الجريمة إن واي بي دي بلو NYPD Blue بعنوان «أنت رائع You Da Bomb»، والتي سأناقشها بمزيد من التفصيل في الفصل الثاني، ستكون القصة أقل إثارة في حال عدم كشف حقيقة أن زوجة التحري آندي سيبويتش الحامل مقيدة اليدين إلى مفجر القنبلة الانتحارية؛ وطوال فترة الأزمة، كان جزءٌ كبيرٌ من تركيز الحلقة منصباً على حبهما لبعضهما، والذي بدا أنه سينتهي نهاية مأساوية بسبب القنبلة. وفي رواية لارتيجوي السينتوريون، يقتنع إسكلافييه أخيراً (الشخصية التي عارضت التعذيب في كافة تفاصيل الرواية) بضرورة تعذيب أسيره بعد مكالمة هاتفية مروعة من صديقته المضطربة، التي قُتل جدُّها على يد أفراد من جبهة التحرير الوطني. هذا، إلى جانب قتل الإرهابيين لثلاثة خدم وحرق مزرعة العائلة، مما يجعل إسكلافييه «يشتعل غضباً» ويتجاوز اعتراضه الأخلاقي على التعذيب[1]. وفي فيلم عن

(1) جان لارتيجوي، السينتوريون، (نيويورك: بينجوين، 2015 [1960])، ص 512.

الإرهاب للروائي الانجليزي أندي ماكناب 2012 بعنوان (إشعار أحمر Red Notice)، يكون بطل الفيلم توم باكنغهام مدفوعاً برغبة محمومة لإنقاذ صديقته الحامل دلفين، بقدر ما هو مضطر لإحباط مؤامرة الشرير الذي يسعى لتفجير كمية كارثية من المتفجرات البلاستيكية داخل نفق المانش. وهذا يعني أن السيناريو كان مقنعاً للغاية عند إضفاء الطابع الشخصي عليه (وينطبق هذا بالتالي على الجمهور). إن هذه الجاذبية للعاطفة والمشاعر والطريقة التي يؤطر بها التعذيب لتقديم الحكايات السارّة المثيرة، التي تتضمن حماية العلاقات الحميمة بين الجنسين، وحماية المدن المليئة بالأبرياء من الدمار النووي الشامل، هي أمر أساسي لاستئناف سيناريو القنبلة الموقوتة. إذ تُقدِّم لنا حالة مشحونة عاطفياً كإطار لمناقشةٍ أخلاقية عقلانية، في حين أن السبب الذي يجعلها تنجح كلياً كتجربة فكرية هو أنها تروق في المقام الأول للعواطف السياسية وأسسها الأيديولوجية البديهية، وفي المقام الثاني للعقلانية السياسية، إن جاز القول.

والواقع أن السيناريو هو بالدرجة الأولى انجذاب إلى «الفطرة السليمة». الفطرة السليمة هي سمة الأفكار التي غالباً ما تكون غير ضارة والتي تكون واضحة جداً لدرجة أن الجميع سيوافقون عليها بسهولة (من المنطقي ارتداء قبعةٍ ووشاحٍ في الثلج، أو قميصٍ رقيقٍ في الصيف). ولكن بمجرّد أن نبدأ في استخدام المصطلح لوصف الأفكار السياسية، سرعان ما يصبح أكثر غموضاً وإشكالية. إذ كتب ديفيد هارفي، وقبله أنطونيو جرامشي، أن بإمكان الفطرة السليمة أن

تكون «مضلّلة إلى حد كبير، أو أنها تحجب أو تموّه مشاكل حقيقية في ظل التحيّزات الثقافية»[1].

يمكن فهم الفطرة السليمة بشكل أكثر عمقاً على أنها أيديولوجية حيادية ووطنية إلى الحد الذي باتت تحدد فيه آفاق ما يمكننا الاتفاق على أنه واقع. على سبيل المثال، يرى المحافظون أن من الفطرة السليمة إخضاع المجرمين لعقوبات قاسية داخل السجن، وربما عقوبة الإعدام؛ ومن الفطرة السليمة لدى من يعاني من رهاب المثلية أن تكون العلاقات مغايرة الجنس طبيعية، وبالتالي هي الشكل الوحيد للعلاقات الجنسية المقبولة؛ ومن الفطرة السليمة أن يوافق اليسار على وجوب دفع الحد الأدنى من الأجور للعمال؛ ومن الفطرة السليمة لدى النسويات التأكيد على سد فجوة الأجور بين كلا الجنسين. ولا تعتبر أي من هذه الأفكار محايدة بالطبع، ولكن بما أنها أساس أنظمة المعتقدات السياسية لأولئك الذين يحملونها، فإنها تبدو فطرة سليمة واضحة وبديهية، لدرجة أن تصورها كأيديولوجية غير وارد في حد ذاته. كما ذكر مارك فيشر في كتابه الواقعية الرأسمالية Capitalist Realism، «لا يمكن أن يكون الموقف الأيديولوجي ناجحاً أبداً إلى أن يُجعل حيادياً، ولا يمكن جعله حيادياً في حين لا يزال يُنظر إليه على أنه قيمة وليس حقيقة»[2].

---

(1) ديفيد هارفي، تاريخ موجز للنيوليبرالية، (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2005)، ص 39.

(2) مارك فيشر، الواقعية الرأسمالية: ألا يوجد بديل؟، (وينشستر وواشنطن: زيرو بوكس، 2009)، ص 16.

سيناريو القنبلة الموقوتة هو استدعاء للبديهيات التي تمثل كل ما هو طبيعي وعمومي وفطري، لكنها في الواقع معيارية ومحدّدة للغاية؛ في الحقيقة إن حجتي هنا هي أن سيناريو القنبلة الموقوتة يتطلب إحداثيات فكرية خاصة ومؤثرة ثقافياً تجعل السيناريو منطقياً، وهي في الوقت نفسه إحداثيات ذات طابع سياسي وعقائدي وعقلاني وتثير المشاعر والعواطف بشدة. ويعود بعض السبب في كون هذه الأفكار تبدو واضحة وطبيعية وتحمل طابع «الفطرة السليمة»، هي أنها واسعة الانتشار وواضحة لدرجة أن إدراجها في الخطابات السياسية غالباً ما يكون مواربا بسبب المعارف العامة التي تجعلها تبدو طبيعية وواضحة وغير قابلة للنقاش.

وهذا مبرر نوعاً ما لأن غالبية النصوص التي أخضعتُها للتحليل في هذا الكتاب تندرج في فئة الواقعية الجمالية. فالواقعية ببساطة هي أي شكل من أشكال التمثيل التي تُظهر عالمنا كما نعيش فيه، وتتميز بشخصيات تتصرف بالطريقة التي يتصرف بها الأشخاص الحقيقيون؛ ويمكن تمييز الواقعية بسهولة عموماً من حيث المحتوى السردي عن الخيال العلمي مثلاً من خلال افتقارها للتكنولوجيا المستقبلية، وعن الكوميديا الرومانسية من خلال افتقارها للمواقف العامة التي تتطلب نهاية سعيدة، أو عن الرعب بسبب افتقارها للعناصر الخارقة للطبيعة. ولكن بغض النظر عن مدى الأصالة الصارمة التي يُظهرها أي تمثيلٍ ثقافي، فإن النصوص الواقعية تبنى تماماً مثل أي نصٍّ آخر في أي نوعٍ أدبي آخر. ومن خلال ادّعاء التعبير المباشر عن الواقع الأصيل وإظهار العالم كما هو «حقاً»

دون تزيين بالأساليب الجمالية، تحاول النصوص في الأدب الواقعي التقليدي إخفاء بنيتها تحت غطاء من علامات الأصالة التي تخلق ما نعتقد أنه من آثار الواقع. كما ورد في كتاب جو كينيدي الأصلاء Authentocrats، «الكثير مما يوصف بالواقعية في الفنون الجمالية هو في الحقيقة أشبه بتحويل الحقيقة إلى شيء (التشيؤ reification)، أو كأنّه تمريرٌ مستتر للأشياء الإيديولوجية العادية التي تجعل الادعاءات المعيارية حول طبيعة الواقع واقعاً بحدّ ذاته»[1]. وبقدر ما تخفي أفكارُ الفطرة السليمة المواقفَ الإيديولوجية، تتظاهر التمثيلات الواقعية كذلك بأنها محايدة وطبيعية في الآن نفسه، حيث تتطلب مجموعة موجودة مسبقاً -من الاتفاقات السياسية بالضرورة- حول ما يعتبر «واقعياً» حتى نتمكن من الاعتراف بها على أنها «واقعية». إن علامات الواقعية، مثل الحوار الأصيل والتفاصيل المدروسة بدقة والمواجهة مع قسوة الحياة، تجسّد القدرة على إقناع الجماهير بأن ثمة ما هو أصيل وحقيقي حيال القصة التي تروى لهم. كذلك نصوص الكتب المصورة التي أتناولها في الفصل الثاني فإنها تدّعي الواقعية الجمالية، حيث تمنح معظم المجموعات الجديدة من نسخ الكتب المصورة بريقاً من الأصالة الجريئة والمظلمة والواقعية (جروح نازفة وشخصيات تعاني العذاب، ورصاصات قاتلة) من أجل ترسيخ رواياتها الخيالية بحزمٍ في العالم الذي من المفترض أن يتصوّره جمهورها على أنه واقعي.

(1) جو كينيدي، الأصلاء: الثقافة والسياسة والخطورة الجديدة، (لندن: ريبيتر بوكس، 2018) ص 58. التوكيد مضاف في الأصل.

وفي حين يبدو سيناريو القنبلة الموقوتة وكأنه يقدّم لنا خياراً واضحاً، فإنه في حقيقة الأمر يعيد صياغة معضلة التعذيب الأخلاقية بأسلوب مضلِّل للغاية. وبعيداً عن كونه حشداً موضوعياً لحقائق بسيطة، فإنه يعتمد في الحقيقة على تمكين مجموعة معينة من الخطابات الاجتماعية والثقافية المحددة والمحصورة للغاية. كما أنه خليطٌ من المجازات الرجعية التي لها مكانتها تاريخياً وتصريفاتها الكثيرة أيديولوجياً. يتحرّى الكتاب هذه المجازات والخطابات بعمق من أجل إظهار كيف أن الدوافع العاطفية التي تبدو كقرارات فطرية وأخلاقية واضحة دون تعقيد هي في الواقع قرارات سياسية للغاية، ومحددة بدقة بواسطة الإحداثيات الإيديولوجية.

أصل فكرة سيئة

قبل المضي قدماً، أود أن أقدِّم ملاحظةً حول الطبيعية التأريخية لما أقوم به من دراسة تحليلية، والطريقة التي اخترتُ بها النصوص التي سأناقشها. يركّز هذا الكتاب على أمثلة من القرنين العشرين والحادي والعشرين لأن أصل سيناريو القنبلة الموقوتة يعود تقريباً إلى أوائل القرن العشرين. ولكن من الصعب توخي الدقة في ذلك. ينسب الفضل إلى حد كبير إلى جان لارتيجوي في وضع هذا السيناريو عام 1960، في روايته **السينتوريون** The Centurions[1]،

---

(1) «مهما تطلب الأمر: سياسة الرجل المسؤول عن 24»، ذا نيويوركر، 19 فبراير 2007: http://www.newyorker.com/reporting/2007/02/19/070219fa_fact_mayer?currentPage=all

ولكن من السهل أن نشير إلى أن أندريه مالرو نشر روايته (الفاتحين The Conquerors)، التي تضمّ مشهداً يؤدّي فيه التعذيب إلى منع التسمم الوشيك لمصدر المياه، قبل أكثر من ثلاثين عاماً من رواية لارتيجوي أي في عام 1928[1]. ويمكن حتى أن نلاحظ أن الدافع السردي في رواية جوزيف كونراد العميل السري The Secret Agent، التي نُشرت قبل واحد وعشرين عاماً من تلك، أي عام 1907، معنيّة في المقام الأول بالبنية والدوافع والمفارقات والفشل المطلق لأحد ممارسات العنف السياسي (لا يوجد تعذيب في رواية كونراد، ولكن ثمّة تركيزٌ مكثّف على هجوم عنيف مطابق لروايات لاحقة نجدها في سيناريو القنبلة الموقوتة). ومن الصعب، إن لم يكن من المستحيل على الأرجح، تحديد الظهور الأول لسيناريو القنبلة الموقوتة بدقّة في عمل أدبي أو فني. وبدلاً من الجدل حول محاولة اكتشاف المصدر الأصلي لهذه الفكرة الراسخة ثقافياً بشكل مدهش، والتي يجري تداولها على نطاق واسع في الخطاب غير الرسمي وكذلك في الإصدارات المنشورة ذات الطابع الرسمي، ربما يكون من الأجدر بنا ملاحظة أن السيناريو موجود وحاضر على نطاق واسع اليوم، وأن إصدارات ما بعد 11 سبتمبر التي قد نكون أكثر دراية بها هي في الواقع تكرارات محددة لروايات مجازية أكثر عمومية ذات دلالات تاريخية قديمة ونابضة بالحياة.

داريوس ريجالي، التعذيب والديمقراطية، (مطبعة جامعة برينستون، 2007)، ص 546؛ هاسنر، «أسطورة القنبلة الموقوتة»، ص 90.

(1) أندريه مالرو، الفاتحين، (لندن ونيويورك: مطبعة جورمانهان، 1983)، ص 169 - 174.

ولكن من الجدير بنا أن نستكشف بإيجاز لماذا من المغري افتراض أن الهجمات الإرهابية في الحادي عشر من سبتمبر تعدّ نقطة ارتكاز تاريخية رئيسية تكر ر بعدها ظهور سيناريو القنبلة الموقوتة. في الواقع، هناك بعض الأهمية لمثل هذا الادّعاء. يبدو أن الاتجاه في التمثيل الأدبي والثقافي للتعذيب يظهر بوضوح شديد أن أحداث 11 سبتمبر تمثّل نقطة تغيّرت بعدها المواقف لصالح التعذيب بشكل جذري. وفي حين كان التعذيب يُعتبَر سابقاً خارج نطاق المقبول وتكتيكاً يستخدمُه الفاشيون والأشرار والمستبدون فقط، فقد أعيد تقييمه ليصبح شكلاً من أشكال العنف المفيد والمجدي في ظلّ مكافحة الإرهاب. فعلى سبيل المثال، في الولايات المتحدة الأمريكية قبل 11 سبتمبر كانت أفلام الإثارة الشهيرة بمواضيع الإرهاب مثل (تيكر Ticker)، و(فيس أوف Face /Off)، و(موت قاس Die Hard) و(الصخرة The Rock) تتجنّب التعذيب، وغالباً ما ترفضه بإصرار لأنه غير مقبول أخلاقياً. وفيلم (الحصار)، مثلاً، فيلم إثارة آخر صدر قبل هجمات 11 سبتمبر، يعرض سيناريو تعاني فيه مانهاتن من جهد أمني مكثف بسبب تهديدات إرهابية، ويدين التعذيب صراحة كعرض من أعراض الاستبداد العسكري الذي تفترضه بشكل ساخر كردّ فعلٍ محتمل للدولة على الإرهاب[1]. لكن منذ 11 سبتمبر، ظهر سيناريو القنبلة الموقوتة في العديد من الأعمال الثقافية البارزة، مثل المسلسلات التلفزيونية

---

(1) «المجتمع المدني تحت الحصار: الإرهاب ورد الحكومة على الإرهاب في الحصار»، جامب كت، 50، 2008.

(24)، (باتلستار غالاكتيكا Battlestar Galactica)[1]، و(دير ديفيل Daredevil)؛ وأفلام الإثارة السينمائية مثل (ثلاثية فارس الظلام The Dark Knight Trilogy)، و(تيكن Taken)، و(سقوط البيت الأبيض Olympus Has Fallen)، و(سقوط لندن London Has Fallen)، و(المفتوح Unlocked) و(الانتزاع Extraction)؛ ورواية فرانك ميلر المصورة (الرعب المقدس Holy Terror). في ضوء ذلك، يبدو أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر تمثل نوعاً من العتبة التي أصبح التعذيب بعدها مقبولاً على نطاق أوسع.

وكذلك اتّبعت النماذج الأدبية اتجاهاً مماثلاً. يعدّ الصحفي ومؤلف روايات الإثارة هنري بورتر حالة مثيرة للاهتمام. وكذلك على سبيل المثال في فيلم بورتر عن التجسس الذي أصدره عام 2001 قبل أحداث 11 سبتمبر (حياة الجاسوس A Spy's Life)، تروى قصة البطل، روبرت هارلاند، الذي نجا بأعجوبة من التعذيب السوفيتي المروع عبر تفاصيل غنية بالشفقة والعمق المؤثر[2]. تُظهر الرواية التعذيب كسلوك مؤلم للغاية، وتوضح بالتفصيل آثاره المؤذية على الصحة العقلية لـ هارلاند وعلى حياته المهنية وقدرته على الحفاظ على علاقاته المجدية مع الآخرين.

---

(1) باتل ستار غالاكتيكا، الموسم الأول، الحلقة الثامنة، لحم وعظم، إخراج براد تورنر، 2004. انظر كيران ترانتر، «المحامون المتسللون وأحكام الفقه التكنولوجي: الاستثناء، الموضوع والتقنية في مسلسل باتل ستار غالاكتيكا»، القانون والأدب، 19: 1 (2007)، ص 50.

(2) هنري بورتر، حياة الجاسوس، (لندن: أوريون، 2002 [2001])، ص 190-194.

لكن في مشهد الذروة في رواية بورتر الأولى بعد أحداث 11 سبتمبر 2003 في **إمباير ستيت**، فإن تعذيب أحد المعتقلين يوقف ستّ هجمات انتحارية في مدن رئيسية، بما فيها لندن ونيويورك. ومارس هذا التعذيب صديق هارلاند إيزيس هيريك، وهو شخصية تعارض التعذيب في البداية، مثل شخصية إسكلافييه لدى لارتيجوي، وعلى مدار الرواية يدرك أنه على الرغم من مخاوفه الأخلاقية، هناك بعض المواقف التي قد يكون لها قيمة استخباراتية لا تقبل الجدل[1]. من المثير للاهتمام أيضاً تحويل رواية ستيفن ليذر عام 1992 (الرجل الصيني Chinaman) إلى فيلم. تتميز روايته بنهاية مأساوية، حيث لا يمكن إيقاف قنبلة الجيش الجمهوري الأيرلندي على متن طائرة ركاب. ولكن في نسخة الفيلم المقتبسة عن الرواية والتي أنتجت عام 2017 تحت عنوان (الأجنبي The Foreigner) فإن التعذيب على يد الأجهزة الأمنية البريطانية يوفر معلومات حيوية تؤدي إلى اكتشاف مكان القنبلة وإنقاذ ضحاياها المستهدفين[2]. قبل الحادي عشر من سبتمبر -بل في الواقع قبل اتفاقية الجمعة العظيمة- كان التعذيب البريطاني للقوات شبه العسكرية للجيش الجمهوري الأيرلندي موضوعاً محظوراً وصعباً،

---

(1) هنري بورتر، امباير ستيت، (لندن: أوريون، 2003)، ص 449-455. بحلول عام 2005، كان بورتر ينتقد التعذيب مرة أخرى. انظر هنري بورتر، «في طريق الأذى»، المراقب 11 ديسمبر 2005:

http://www.theguardian.com/world /2005/dec /11/usa

(2) ستيفن ليذر، الرجل الصيني، (لندن: هودر وستوتون، 2007 [1992])، ص 400 - 401.

وهو ما منع ستيفن ليذر من استغلاله بشكل مباشر إلى جانب أنه لا يفضل التعبير عنه بشكل مباشر. ومع ذلك، بعد أحداث 11 سبتمبر، وفي عهد ترامب، يجري استغلال التعذيب دراميًا بشكل كبير لتحقيق أقصى قدر من الإثارة.

وفي الحديث عن مثال درامي خاص بهذا التحول في فترة ما بعد 11 سبتمبر، يمكننا، بالطبع، اختيار مسلسل تلفزيوني عن مكافحة الإرهاب وهو(24). على الرغم من أن الموسم الأول من المسلسل، مثل جميع المواسم اللاحقة، تسير أحداثه بالطريقة التي تتضمّن السباق ضد الزمن بشكل رئيسي ضمن بنيتها، فإن هذا الموسم -الموسم الوحيد الذي كُتب وصوّرت مشاهده قبل أحداث 11 سبتمبر- لا يعرض الشخصيات الرحيمة كشخصيات تمارس التعذيب. وبالفعل فإن المرّة الوحيدة التي يُذكر فيها التعذيب في الموسم الأول من مسلسل (24) هو في الحلقة الخامسة عشر، عندما قام المرشح الرئاسي السناتور بالمر بتفصيل السيرة الذاتية الدنيئة لفيكتور درازن، الشخصية الشريرة الرئيسية في الموسم الأول: «مجازر. تعذيب. تطهير عرقي. كان الرجل وحشاً». كان التعذيب معادلاً أخلاقياً، في العالم الأخلاقي لأحداث مسلسل (24) ما قبل أحداث 9/ 11 للمجازر والتطهير العرقي المرتكب خلال الانهيار المرعب والدموي ليوغسلافيا. لن يكون مستغرباً لدى معظم القراء، مع ذلك، لملاحظة أنه بعد أحداث 11 سبتمبر، يمارس أبطال مسلسل (24) التعذيب بانتظام من أجل إنقاذ الولايات المتحدة من الهجمات الإرهابية - لم يعد التعذيب جريمة ترتكبها

الشخصيات الشريرة، بل شكلاً ضرورياً من أشكال القوة التي يستخدمها الأبطال، وطوال الحلقات المتبقية من المسلسل (24) يُستخدَم التعذيب كتقنية استجواب سريعة وفعّالة مناسبة بشكل خاص لحلّ سيناريوهات القنبلة الموقوتة. بالإضافة إلى ذلك، في المجلد المحفوظ للموسم الأول من مسلسل (24) والذي نُشر عام 2002، يُحذف التعذيب بأثر رجعي من قائمة الجرائم المدرجة في ملف شخصية فيكتور درازن، على الرغم من حشد اللغة التي يمكن توقّعها عند توثيق انتهاكات حقوق الإنسان، حيث يحافظ على تهم الاغتصاب والإعدام بإجراءات موجزة والنهب والحرق وعمليات الترحيل القسري[1].

لذلك، فإن ما كتبه ديفيد هولواي عام 2009 صحيح تماماً إذ يقول: «كان من بين الاتجاهات الأكثر بروزاً في التاريخ الثقافي الأمريكي بعد أحداث 11 سبتمبر السرعة التي هيمنت فيها صور التعذيب على الثقافة المعاصرة»[2]. يكاد يكون الآن سيناريو مختزناً في سلالات معينة من الثقافة الشعبية، فقد كتب جون إيب عن فترة ما بعد 11 سبتمبر: إن «سيناريو القنبلة الموقوتة» بات ذريعة شائعة لدرجة أصبح بالإمكان طرحه كنظير

---

(1) مارك سيراسيني، 24: اللجنة الفرعية الخاصة بمجلس النواب النتائج في CTU (نيويورك: هاربر انترتيمنت، 2003)، ص 9.

(2) ديفيد هولواي، «أفلام الإثارة عن الحرب على الإرهاب والتجسس، وإمبريالية حقوق الإنسان». دراسات أدبية مقارنة، 46: 1 (2009)، ص 20. انظر أيضا مادلين Hron، «التعذيب يصبح رائجاً!»، مجلة السلام، 20: 1 (2008)، ص 22-30:
http://dx.doi.org/10.1080/10402650701873684

لقانون جودوين عن النازيين (نقطة اللاعودة): مع تزايد النقاش حول استخدام التعذيب لفترة أطول، فإن احتمال الاستشهاد بذكر سيناريو القنبلة الموقوتة أصبح أمراً حتمياً»[1] ولكن رغم أنه يبدو من الضروري اعتبار أحداث 11 سبتمبر نقطة ارتكاز انبثق بعدها سيناريو القنبلة الموقوتة، فإن هذا الموقف ليس مستداماً حقاً لأنه يتجاهل عصور ما قبل التاريخ الطويلة والحيوية. في الواقع، تمثل روايات التعذيب التي تتناول الحرب على الإرهاب، بعيداً عن اختراع سيناريو القنبلة الموقوتة، تكرارات جديدة لتقليد قديم طويل من هذه الروايات التي كانت معنا باستمرار منذ أوائل القرن العشرين، خلال فترة إنهاء الاستعمار العالمي والحرب الباردة، والتي يمكنها وفقاً لذلك أن تتيح للمنتجين الثقافيين إعادة استخدام مجموعة واسعة من الخصائص المتاحة وأنماط السرد والعبارات المجازية والصور.

نتيجة لهذا النطاق الثقافي والتاريخي المهيمن غالباً، كان اختيار المضمون النصي لهذا الكتاب مشحوناً جداً؛ وثبت أنه في ظل وجود العديد من الأمثلة المتاحة للاختيار وهذا التنوع في النصوص، من المستحيل اختيار عمل تمثيلي واحد أو اثنين فقط. بالإضافة إلى نسج العديد من قصص سيناريو القنابل الموقوتة ضمن روايات أكبر حجماً، لتشكِّل مشاهد قصيرة فقط أو حلقات صغيرة ضمن نصوص أوسع بكثير. كما أن بعض النصوص النادرة مثل مسرحية

(1) جون إيب، «حرب فارس الظلام على الإرهاب». أوهايو الجريدة الرسمية للقانون الجنائي، 9، 1 (2011)، ص 218.

روبرت فوثرجيل (بروتوكول ديرشويتز Dershowitz Protocol) ورواية ألكسيس جيني (فن الحرب الفرنسي) وفيلم كيفن توليز (المتواطئ Complicit) أو فيلم الإثارة السينمائي لـ دينيس فيلنوف (السجناء)، انتقدَتْ صراحةً سيناريو القنبلة الموقوتة[1].

وخدمةً لأغراض هذا الكتاب، فكرتُ في سردٍ تُحلُّ من خلاله الأزمات الطارئة الحساسة للوقت عبر استخدام العنف ضد الفرد، ليكون سرداً يتناول التعذيب وفق سيناريو القنبلة الموقوتة متميزاً بذلك عن الفئات الشائعة من السرد المتعلق بالسباق ضد الزمن، والمتعلق بالانتقام، أو النوع الثانوي المتعلق بالابتزاز النووي، أو السرد الذي يتناول حالة الطوارئ أو الأزمات، أو غيرها من أنواع أفلام الإثارة الأوسع نطاقاً. وبناءً على ذلك، وبما أنني منقاد لهذا الاهتمام الفلسفي السياسي الضيق، فقد اخترت التدقيق في الناحية المفاهيمية، وأن أغوص في نصوص الصور التوضيحية بدلاً من تحري روايات أو أفلام كاملة بعمق يستنزف الوقت والجهد. وستفوتني بعض الأمثلة القيمة بلا شك ولكن لا توجد طريقة أخرى تساعدني على توخي الشمولية الموسوعية؛ ومع ذلك فقد حاولتُ استقصاء مجموعة واسعة من الأمثلة قدر الإمكان. وفي حين أنني ركّزتُ انتباهي على النصوص التي عرفتُ بأن لها تأثيراً خاصّاً، فقد حاولتُ أيضاً الاستفادة من مجموعة واسعة من النصوص الأنجلو-أمريكية الأدبية والسينمائية، والثقافية الشعبية

(1) انظر أيضاً مقال جون إيب المذكور أعلاه، والذي يجادل بأن ثلاثية أفلام باتمان فارس الظلام لـ كريستوفر نولان تمثل نقداً لأيديولوجيات التعذيب وإضفاء الطابع الأمني.

التي أمكنني تجميعها، في محاولة لعدم التمييز على أساس النوع أو الموضوع، مما يعكس حقيقة أن سيناريو القنبلة الموقوتة موجودة في جميع مجالات الثقافة المهيمنة السائدة، سواء في الأفلام أو المسلسلات التلفزيونية أو النصوص الروائية أو الكتب المصورة أو غيرها من الأشكال الثقافية[1]. والتركيز على أي نص مفرد يتناول سيناريو القنبلة الموقوتة، مسلسل (24) على سبيل المثال، سيكون محدوداً لأن من شأنه أن يشتت تركيزي الأساسي هنا، أي الطريقة المتنوعة والعاجلة التي يعتمد عليها سيناريو القنبلة الموقوتة ويعززها من خلال مجموعة متنوعة من الخطب السياسية والمثاليات[2].

---

(1) لا أمتلك الخبرة للبحث في ألعاب الفيديو، ولكن لا شك أن بالإمكان اكتشاف الكثير في هذا المجال، ربما بدءاً من مشهد التعذيب في لعبة كول أوف ديوتي، بلاك أوبس الذي يتطلب من اللاعب تعذيب شخصية الشرير. شاهد مشهد التعذيب هنا:
https: // www.youtube.com/watch؟v=OHksOOv77YM
لاحظ على وجه الخصوص الطريقة التي يطلب من اللاعب الضغط على الأزرار من أجل ارتكاب التعذيب.

(2) كان مسلسل (24) بالطبع موضوعاً للكثير من الدراسات البحثية، والتي يعالج الكثير منها بشكل صريح الطريقة التي اتّبعها مخرج المسلسل لدمج سيناريو القنبلة الموقوتة على شكل سباق في الوقت الحقيقي، ورغم أنني سأذكره في بعض الأحيان، فأنا لا أنوي التركيز عليه كثيراً. للرجوع إلى الأبحاث المنشورة عن (24)، انظر على سبيل المثال ستيفن كيسلوفيتش، طاوية جاك باور: ما يقوله الوحش الإرهابي المفضل لدينا عن الحياة والحب والتعذيب وإنقاذ العالم 24 مرة في 24 ساعة دون استراحة غداء، (نيويورك: بلومنجتون، 2009). «محاكمة جاك باور: المحاكمة المتلفزة لبطل أمريكا الخيالي المفضل وتأثيره على الجدل الحالي حول التعذيب». مراجعة قانون كاردوزو، 31: 4 (2010)، ص 1125-1132؛ ريتشارد مينيتر، وليه ويلسون، محرران. جاك باور للرئاسة: الإرهاب والسياسة في 24 (دالاس: بنبيلا، 2008)؛ بيتر موري، «الرعب المتلفز: العرق والأمة والأسلمة في سلسلة فوكس التلفزيونية 24.» التدخلات، 12: 2 (2010)، ص 251-264:

هناك ثلاثة نماذج مترابطة تقوم عليها الروايات الخيالية التي ذكرتها هنا. أولاً: ينجح عملاء خاصون أو جواسيس أو جنود في إنقاذ الدولة عن طريق استخدام التعذيب في سياق أعمال مكافحة الإرهاب؛ ثانياً: ينجح ضباط الشرطة أو الأبطال الحراس في إنقاذ المدن باستخدام التعذيب من خلال تطبيق العدالة الريادية؛ وأخيراً: ينجح الآباء في إنقاذ الأسرة أو أفراد من الأسرة (البنات عادة) باستخدام التعذيب من خلال ممارسات خاصة ضد الجريمة. يعرض كل نموذج من هذه النماذج المتداخلة السمات الثلاثة لتمثيلات التعذيب التي نوقشت أعلاه:

- وفي كلٍّ منها، يُجسَّد التعذيب كوسيلة موثوقة وفعالة لحل مشاكل معينة، ويمنح طابعاً أخلاقياً صالحاً وضرورياً لأقصى درجة، ويظهر كأداة لأداء الواجب الرجولي في حماية الضعيف.

---

http://dx.doi.org/10.1080/1369801X.2010.489699

ستيفن بيكوك (محرر)، قراءة في 24: التلفزيون ضد الساعة (لندن: IB Tauris، 2007)؛ كيرين تينينبويم وينبلات، «أين جاك باور عندما تحتاجه؟» استخدامات الدراما التلفزيونية في الخطاب السياسي الوسطي». التواصل السياسي، 26، 4 (2005)، ص 387-367:

http://dx.doi.org/10.1080/10584600903296696

إلزبيث فان فيرين، «استجواب 24: جدوى مكافحة الإرهاب الأمريكية في الحرب العالمية على الإرهاب»، العلوم السياسية الجديدة، 31، 3 (2009)، ص من 361 إلى 384:

http: // dx.doi.org/10.1080/07393140903105991

جنيفر هارت ويد، ريتشارد ديفيس، ورونالد ويد (محررون)، 24 والفلسفة: العالم حسب جاك، (أكسفورد: بلاكويل للنشر، 2008).

وتمثل هذه الإحداثيات العاطفية خطة محنّكة استراتيجية بالنسبة لأولئك الذين يبررون التعذيب.

على الرغم من أن التعذيب يرمز لأسوأ أشكال الاستبداد والانقسام السياسي، ويؤدي إلى نتائج عكسية من الناحية المادية، ويدمّر الصحة الجسدية والعقلية للضحايا والجناة، فإن هناك العديد من الأشخاص الذين يسعون إلى الدفاع عنه. لا يمكن القيام بذلك بشكل عقلاني، لذا فإن واضعي سيناريوهات القنبلة الموقوتة يدافعون عنها بقوة من خلال منحها بعض الخصائص التي أشاد بها الجمهور عموماً وأغلبية السكان: خاصية القيمة الإيجابية التي تجعل التعذيب يبدو كأداة احترافية ملائمة ونادراً ما تستخدم؛ والخاصية الضرورية بشكل تراجيدي والتي تجعل ممارسي التعذيب يبدون كأبطال ممانعين، لكنها تجعل التعذيب أمراً لا مفر منه؛ وأخيراً خاصية تمثيل التعذيب كأحد مكونات الرجولة التي تحمي الجنس الآخر، مما يجعل التعذيب يبدو متعاطفاً وحامياً ودفاعياً. وبصفتنا معارضين للتعذيب، علينا هدم هذه الروابط إذا أردنا التعبير عن مقاومة فعالة ومقنعة ضدها.

الفصل الأول

الفائدة النفعية

التعذيب بصفته تكنولوجيا موضوعية

عند انتزاع المعلومات، لا بديل عن الخبرة[1].

مارك ألن سميث

يمتاز سيناريو القنبلة الموقوتة بأصل فلسفي مميز. إذ يحمل في جوهره جزءاً من الجدل النفعي. ويعتقد المفكرون النفعيون ببساطة أن الغاية من أفعال الناس هي أن تجعل العالم مكاناً أفضل. طور الفلاسفة النفعيون لهذا الغرض شكلاً من الاستدلال المنطقي القائم على مبدأين: مبدأ العواقبية الذي ينص على ضرورة تقييم الأفعال بناءً على السمات المحتملة للعواقب المترتبة عليها، ومبدأ اللذة الذي ينص على أن هذه النتائج يمكن تقييمها على أنها **إيجابية** إذا زادت المتعة في العالم أو **سلبية** إذا زادت المعاناة. يُظهر سيناريو القنبلة الموقوتة التعذيب كأداة كريهة ولكنها ضرورية لتحقيق غايات مبررة

(1) مارك ألين سميث، المحقق، (لندن: سيمون وشوستر، 2012)، ص 21.

يمكن اعتبارها مقبولة وفقاً لهذين المبدأين؛ فإذا كانت عواقب التعذيب ستمنع معاناة العالم جراء هجوم كارثي تكون حينها قد حققت كلا المبدأين.

كتب جيريمي بينثام الذي يعرف باسم (أبو الفكر النفعي)، أن من الممكن السماح بالتعذيب في حالة:

طلب من شخص أن يفعل ما ليس في وسعه (الاعتراف)، رغم أنه سيتعرض للتعذيب إذا رفض ذلك، لأن ما يهم الجمهور كثيراً هو إنجاز الفعل (الاعتراف) على اعتبار أن الخطر الناجم عن عدم فعله أكبر من معاناة هذا الشخص البريء مهما كانت درجة الألم التي يمكن أن يعاني منها تحت التعذيب[1].

وبعبارة أُخرى يرى بينثام أنه: في حال وجود خطر كبير يهدد عموم السكان يفوق الضرر الذي سيقع على فرد واحد جرّاء التعذيب عندئذ يمكن السماح بالتعذيب. ليس من المؤكد بأي حال من الأحوال أن بينثام هو صاحب هذه الفكرة خاصة وأن هذا الاقتباس هو جزء من مخطوطة لم تُنشر حتى عام 1973، وحينها كان سيناريو القنبلة الموقوتة معروفاً على نطاق واسع. ومع ذلك فإن تبرير سيناريو القنبلة الموقوتة للتعذيب يتوافق مع الأفكار النفعية التي وضعها بينثام، وكثيراً ما ورد هذا عند استخدام المصطلحات النفعية عموماً من قبل واضعي النظريات الأخلاقية النفعية كمثال

(1) جريمي بينثام، «الجزء ج: من التعذيب»، مذكور في بحث وليام توينج وباري باسكينز «بينثام عن التعذيب»، الفصلية القانونية لأيرلندا الشمالية، 24: 3 (1973)، ص 312-313.

على الحالة التي يمكن أن يصبح فيها الفعل المكروه مرغوباً (أو مكروهاً نوعا ما) إذا كان هو الخيار الذي سينجم عنه ضرر أقل بشكل عام وفقاً لمعايير الربح والخسارة.

يرى فيليب بيتيت على سبيل المثال أنه: «قد يكون من السيء التفكير في تعذيب شخص ما ولكن لا بدّ أن الأمر مروّع بالقدر نفسه حين التفكير في عدم تعذيبه وبالتالي السماح، كما يقول، بتفجير قنبلة ضخمة في مكان عام»[1]. يرى سام هاريس أن ممارسات مثل «الإيهام بالغرق» التي تُستخدم في ظروف خطيرة ليست مبررة فحسب بل ضرورية أخلاقياً، وأن سيناريو القنبلة الموقوتة سيضفي الشرعية على إعادة إحياء وسيلة التعذيب **سترابادو** وإخضاع هذا الشخص الكريه [أي زارع القنابل] لوسيلة إقناع قديمة[2]. وفي كتابهما الذي صدر عام 2007: (**التعذيب: عندما يصبح اللامعقول جائزاً أخلاقياً**) يرى ميركو باجاريك وجولي كلارك أن التعذيب الذي يقع «لأسباب رحيمة يعدّ عملاً وحشياً بقدر وحشية إجراء عملية جراحية لنقل كلية من شخص ما لإنقاذ شخص آخر»[3]. أي أن هذين الكاتبين يجدان أنّ على المرء أن يتجاهل كليّاً التقييم

(1) فيليب بيتيت، «العواقبية»، في: دارويل، س. (محرر) العواقبية (أكسفورد: بلاكويل، 2003)، ص 100.

(2) سام هاريس، نهاية الإيمان، ص 193. سام هاريس، رد على الجدل (2014). Sam Harris.org [عبر الانترنت]. متاح على:
http://www.samharris.org/blog/item/response-to-controversy

(3) ميركو باجاريك وجولي كلارك، التعذيب: عندما يصبح اللامعقول جائز أخلاقياً، (نيويورك: مطبعة جامعة نيويورك الرسمية، 2007)، ص 48.

الأخلاقي للألم والأذى الذي ينطوي عليه التعذيب في سيناريو القنبلة الموقوتة لأنه يعتبر ثانوياً إذا ما قيس بقيمة المعلومات المنقذة للأرواح التي يفترض الحصول عليها نتيجة التعذيب.

وهذا لا يعني حتماً أن هذين المنظّرين يسعيان إلى التقليل من مقدار الضرر الناجم عن التعذيب؛ حيث تعترف الجدالات النفعية بالفعل بأن التعذيب هو شكل متطرف من أشكال العنف، وينتج عنه معاناة جسدية كبيرة. لكنهما يتخطيان هذا الاعتراض من خلال وضع التعذيب في كفة ميزان **أهون الشرور**، وافتراض أن التعذيب أقل شراً بسبب قدرته على الحدّ من الضرر الكلي الذي قد يصيب السكان قاطبة. أي أن أحداً لا يجادل في أن التعذيب خير في حد ذاته، ولتقديم حجة نفعية لصالح التعذيب يجب استخدامه كوسيلة لتحقيق هدف جيد أخلاقياً لا جدال فيه يتفوق على مقدار الضرر الحاصل في سياق التعذيب. يبحث الفصل التالي بمزيد من التعمق في الجانب الأخلاقي للمبرر النفعي للتعذيب. هذا الفصل مخصص لما قد يسمى الجانب العملي للمعضلة. يعتمد سيناريو القنبلة الموقوتة على فكرة أن التعذيب هو أمر بنّاء ومفيد يمكن استخدامه في حالة الأزمات الطارئة، لأنه سيؤدي بالتأكيد إلى نتائج مفيدة ومرغوبة. لذلك يجب مناقشة ماهيّة التعذيب: يجب أن يثبت واضعو سيناريوهات القنبلة الموقوتة أن التعذيب عملية عقلانية يمكن تطبيقها بشكل موثوق في حالات معينة، وأنّ استخدام التعذيب ضد شخص ما سينجم عنه الحصول على نتائج متوقعة وقيّمة. ويجب أن يكون هذا بارزاً، لأنه في حال عدم فهم

التعذيب على أنه تكتيك ذو قيمة نفعية واضحة وثابتة فلا يمكن الادعاء حينها بأن استخدام التعذيب سيكون له عواقب وقائية إيجابية تبرر ممارسته. لا يمكن وصف التعذيب بأنه وسيلة ضرورية إذا لم يوصف أولاً بأنه وسيلة فعالة.

بدايةً: في نصوص سيناريو القنبلة الموقوتة، يقدّم التعذيب على أنه تقنية استجواب. ويوضح أنه في حال كان الوقت محدوداً وثمة مقاومة من المشتبه فيه المذنب، يصبح بإمكان ضباط إنفاذ القانون استخدام التعذيب من أجل الحصول على المعلومات اللازمة لحسم أزمة عاجلة. وتنتشر فكرة أن التعذيب أداة تتناسب مع أعمال مكافحة الإرهاب سيّما في بعض المؤلفات العسكرية. حيث كتب برنارد فال، على سبيل المثال، أن «التعذيب هو مصدر الرعب الذي يؤرّق الإرهابي، تماماً مثلما يخشى الطيار نيرانَ المدفعية المضادة للطائرات وكما يخشى جندي المشاة الرشاش»، ويرى المظلي الفرنسي بول أوساريس أن التعذيب يمتلك صفة الشرعية في الحالات التي كان فيها الحصول على المعلومات ضرورياً وملحّاً للغاية، رغم أنه غير مقبول بتاتاً في الظروف العادية[1]. إن تقديم التعذيب كنشاط إجرائي ينطوي على قدر من الألم الجسدي بهدف انتزاع الحقيقة مباشرة من المصدر المقاوم، بات منتشراً بشكل لافت

(1) برنارد ب. فال، مقدمة: لوحة «السنتوريون»، في روجر ترينكيير، الحرب الحديثة: نظرة فرنسية حول مكافحة التمرد. (ويستبورت، كونيتيكت ولندن: برايجر سيكورتي إنترناشيونال، 2006)، ص xvi. بول أوساريس، معركة القصبة: مكافحة الإرهاب والتعذيب في الجزائر 1955-1957، مترجم. روبرت إل ميلر (نيويورك: إنيجما بوكس، 2006)، ص 17.

ويسود مجموعة واسعة من روايات مكافحة الإرهاب والتجسس، وسأناقش مجموعة مختارة منها هنا.

أولئك الذين يعرفون بالضبط ما الشيء الضروري

كان جان لارتيجوي روائياً وصحفياً ومراسل حرب فرنسي قبل أن يصبح كاتباً إثر إصابة وضعت حداً لحياته العسكرية. كانت رواياته وما تزال تحظى بشعبية خاصة بين القراء العسكريين والجنود والمظليين في المستعمرات التي كتب عنها، وكذلك بين أفراد القوات الأمريكية العاملة حالياً في ميادين الحرب ضد الإرهاب[1]. كتب الجنرال الأمريكي المتقاعد ستانلي ماكريستال في مقدمته لرواية لارتيجوي «الحرس الإمبراطوري The Praetorians» طبعة عام 2016 والتي نشرت أولاً عام 1963، موضحاً أن أهمية عمل لارتيجوي تأتي مبدئياً من تمثيله الملفت للجنود القساة الساخرين المغرورين، لكن الصبورين في الآن نفسه، من خلال الأسلوب الذي تتناول فيه نصوصه مشاكل أخلاقية ومعنوية مستعصية في الحرب والسياسة. يذكر ماكريستال على وجه الخصوص ما يصفه بـ«التوتر الدائم بين الصحيح سياسياً والمفيد عملياً» - ويقصد من خلاله التعبير عن صعوبة موازنة المتطلبات المادية لخوض حرب حديثة بكفاءة في ظل القيود المترتبة على احترام المعايير الديمقراطية،

(1) روبرت د. كابلان، «مقدمة: جان لارتيجوي: فك رموز المحارب إيثوس»، في جان لارتيجوي، السينتوريون، (نيويورك: بينجوين، 2015)، ص x.

والإلتزام بالحقوق الإنسانية الحضارية[1]. هذا التوتر هو أحد شواغل لارتيجوي الرئيسية، وخاصة في هذه الرواية وروايته الجزائرية الأخرى «السنتوريون». إنه في حالة قلق مستمر من مقدار المعاناة الجسيمة التي لا يمكن خوض الحرب دون التسبّب بها، وكذلك من فكرة أن من المستحيل أن تجد الجيوش المعاصرة في وضع تخوض فيه القتال بأدب ولطف ومراعاة تجنباً لإثارة الكراهية تجاه الحروب التي يُطلب من الجيش شنّها نيابة عن الأشخاص الذين لطالما انتقدوها. وفقاً لذلك، تعتمد نصوص لارتيجوي والكثير من أدبيات الحروب على منطق يطلق عليه جيمس كامبل اسم «الغنوصية القتالية»، أي الاعتقاد بأن القتال يمثل نظاماً نوعيّاً مستقلاً من الخبرات التي من الصعب إن لم يكن من المستحيل منحها لأي شخص ما لم يخضع لتجربة مماثلة بنفسه[2]. من أجل التأكيد على عبثية الموقف الذي تفرضه الحروب المعاصرة على الجيوش، فإن رواياته تركّز على الطرق التي يعتبر فيها خوض المعارك طريقة فريدة لرؤية العالم وفهمه والتفاعل معه، والأهم أن أولئك الذين لم يشاركوا في تلك المعارك لا يمكنهم فهمها.

كجزءٍ من مهمة لارتيجوي لكشف أغوار الحرب، تطلعنا رواياته مراراً وتكراراً على فكرة أن التعذيب هو وسيلة فعالة

---

(1) ستانلي ماكريستال، «مقدمة»، في رواية جان لارتيجوي، الحرس الامبراطوري، (نيويورك: بينجوين، 2016)، ص xi.

(2) جيمس كامبلن، «الغنوصية القتالية: نقد إيديولوجية الشعر في الحرب العالمية الأولى»، التاريخ الأدبي الجديد، 30: 1 (1999)، ص 203.

لانتزاع المعلومات. وذلك من خلال تقديم هذه الفكرة كنوع من المعرفة العامة المشتركة بين المقاتلين، والتي تنبع من الرؤى المكتسبة من تجارب الجنود الواقعية على أرض المعركة. ويرى لارتيجوي أن الطبيعة الوحشية القاسية للقتال تصنِّف هؤلاء الجنود ضمن فئة مستقلة من البشر، فئة المحاربين المحبطين الذين أدركوا، من خلال تجاربهم المروّعة المتكررة، الماهية الحقيقية لهذا العالم. ويتطرق لارتيجوي إلى فكرة التعذيب في رواية «السنتوريون» التي تعدّ أشهر رواياته حول هذا الموضوع، وقد نُشرت عام 1960 في ذروة حرب الاستقلال الجزائرية، حيث يبيّن فيها أن التعذيب أسلوبٌ ناجح، وبالتالي لا يوجد سبب يبرّر رفض اللجوء إليه سوى الضعف. ولا تقتصر وجهة نظره الأهم على أن التعذيب فعّال، بل على أن طبيعته البغيضة تضفي على الجنرالات والسياسيين الليبراليين مظهر الجبناء لأنهم يرفضون بشدة اتّباع أساليبه على الرغم من فعاليته الواضحة كأسلوب حربي. وهذا يعني إدراك الجنود جميعهم أن التعذيب «ناجح» لكن معارضيه يرفضون الاعتراف بذلك لأسباب شخصية أو سياسية شاذة، أو لأنهم إما يفشلون أو يرفضون فهم طبيعة الحرب. كما يعتبر هذا الشذوذ أيضاً مبرراً للعواقب الكارثية التي تكبدها الفرنسيون في حروبهم التي خاضوها في الهند الصينية وشمال إفريقيا - حيث شكلت سلسلة مستمرة من الهزائم المخزية باهظة التكلفة، وتسبّبت في خسارة شبه كاملة للإمبراطورية الفرنسية، وانهيار الجمهورية الرابعة في نهاية المطاف -ولم يتمكن هذا الجيش، الذي شُلّت يداه بسبب الضعف

الهائل للنخبة السياسية، من خوض الحرب الحاسمة التي تتيح له الحفاظ على الإمبراطورية.

لقد تحدّثتُ مطولاً في موضعٍ آخر عن «السينتوريون»، وسأكرّر فقط أن الرواية تؤكد في كل تفاصيلها على أن التعذيب بغيض، لكنه ضروري لنجاح الحرب الفرنسية ضد القومية الجزائرية. يتضمن الفصل الأخير «Rue de la Bombe» ثلاثة مشاهد تعذيب متتالية، حيث يقوم المظليون بتأسيس مسار استدلالي من ضحية إلى أخرى إلى أن يعثروا في نهاية المطاف على 15 قنبلة موزعة في جميع أنحاء الجزائر، ويسارعون إلى إبطال مفعولها. في المشهد الأول، عمد النقيب الفرنسي بوافوراس وحاجبه (مين) إلى تعذيب العقيد في جبهة التحرير الوطني الجزائرية سي ميليال، وتمكّنا من الحصول على عنوان صانع القنابل؛ وفي المشهد الثاني، اغتَصبَ الرائد دي جلاتنيي عائشة، المرأة الجزائرية الجميلة التي كان يتواصل معها، واتضح لاحقا أنها «من أكبر منظمي الإرهاب في الجزائر العاصمة»، وهكذا يكتشف موقع زرع القنبلة في سياق الحديث «الحميم» الذي خاضه معها أثناء اغتصابها؛ وأخيراً، عمد الكابتن إسكلافييه إلى تعذيب (عروش)، زارع القنابل، ليكتشف في النهاية مواقع القنابل، فينقل هذه المعلومات إلى بوافوراس الذي هرع مع فرق تفكيك القنابل لإزالتها من شوارع ومقاهي الجزائر العاصمة[1].

---

(1) جان لارتيجوي، السينتوريون، (نيويورك: بينجوين، 2015)، ص 478-519. انظر بشكل خاص، ص 490، 498-500، 504-512.

يظهر التعذيب من خلال هذا التسلسل المباشر للأحداث على أنه السبيل الأمثل إلى إنقاذ الأرواح.

ويتكرر التأكيد على فائدة التعذيب باتّساق صارخ في جميع أعمال لارتيجوي. ففي رواية «الحرس الامبراطوري The Praetorians»، التي تعتبر تتمة لرواية «السينتوريون» التي كُتِبت بعد خسارة الفرنسيين للحرب، هناك مشهد تعذيب وجيزٍ واحد، لكن يظهر فيه أن ضحية التعذيب نفسه يدرك بأنه سيعترف عاجلاً أم آجلاً، ثم يستسلم قسراً لإعدامه في الصحراء[1]. وتشير روايات لارتيجوي اللاحقة إلى التعذيب من خلال عبارات مبطّنة مثل «الطريقة السرية لفكّ عقدة اللسان» المنسوبة إلى العقيد لا رونسيير، الشخصية الرئيسية في رواية (كلاب الصيد في الجحيم The Hounds of Hell)[2] أو «صيته الذائع حول قدرته على جعل أي شخص تحت قيادته يطيع الأوامر» والمنسوبة إلى شخصية لوبيز والمعروفة بالـ «التحلية» في رواية (مقاتلو الحرية Freedom Fighters)[3]. تشير هذه العبارات الملطفة حصرياً إلى القوة الإقناعية للتعذيب، وقدرته على الفوز بالطاعة والمعلومات التي ارتكب التعذيب من أجلها، والأهم من ذلك أنها تؤكد على النتائج وتتجاهل وحشية التعذيب.

---

(1) جان لارتيجوي، الحرس الامبراطوري، (نيويورك: بينجوين، 2016)، ص 50-51.

(2) جان لارتيجوي، كلاب الصيد في الجحيم، (لندن: كاسيل وشركاه، 1966)، ص 93.

(3) جان لارتيجوي، مقاتلو الحرية، (سانت ألبانز: كتب ماي فلاور، 1974)، ص 256.

أي أن لارتيجوي يتجنب غالباً أن يذكر كلمة «تعذيب»، لكنه يؤكد مراراً وتكراراً على فعالية استخدام العنف كوسيلة للحصول على المعلومات.

ولا يعد لارتيجوي الوحيد بالطبع الذي استخدم مثل هذه العبارات الملطفة. وأحدث مثال على ذلك، أعمال فريدريك فورسيث، الذي يشير إلى التعذيب عدة مرات في فيلم إثارة عن الحرب على الإرهاب صدر عام 2006 بعنوان (الأفغان). وبنفس الطريقة التي يشار بها عموماً إلى التعذيب بعبارة «الاستجواب المعزز»، يتجنب فورسيث باستمرار أو يرفض ذكر التعذيب في هذه الرواية، ويشير إليه بدلاً من ذلك بعبارة «المعاملة اللطيفة tender attention» وهي معاملة «كيف لي أن أصفها... غير اللطيفة» أم «الرحمة الرؤوفة» أم «الإكراه» أو «الاستجواب المرن». ويصف سجن التعذيب الأمريكي في باجرام بأنه يحتوي على «منشأة خاصة للغاية حيث «يغني» الجميع في نهاية المطاف»[1]. إن عبارات كهذه تُعَد هامة لأنها تخفف من تصور التعذيب كوسيلة إذلال أو انتهاك، وتوجِّه انتباه القارئ عوضاً عن ذلك إلى قيمته النفعية وفعاليته العملية المفترضة. وعلى النحو الذي تتجاهل به فلسفة النفعية معاناة ضحية التعذيب للتأكيد على العواقب الإيجابية المحتملة لممارسته، فإن هذه العبارات الملطفة تؤكد أيضاً على أنه شكل من أشكال السلوك المجدي بدلاً من اعتباره سبباً في معاناة جسدية

(1) فريدريك فورسيث، الأفغاني، (لندن: كورجي، 2007)، ص 27، 84، 163، 184، 458، 226.

هائلة. تجدر الإشارة هنا كملاحظة جانبية إلى أن رواية (الأفغان) هي تتمة لرواية فورسيث (قبضة الرب The Fist of God)، التي صدرت قبل أحداث 11 سبتمبر، وتنتقد التعذيب صراحة، حيث نجد فيها مثالاً آخر على الاستساغة المتزايدة التي يحظى بها التعذيب بعد أحداث 11 سبتمبر[1].

لكن، ورغم أنّ هذه التلميحات الملطفة قد تبدو مربكة، فإنّ العديد من واضعي سيناريوهات القنبلة الموقوتة لا يعتريهم الخجل إطلاقاً عندما يصفون التعذيب علناً بأنه تقنية فعالة. ومثال ذلك ما يجري قبل نهاية فيلم الإثارة (مجموع كل المخاوف The Sum of All Fears) عن الحرب الباردة ومكافحة الإرهاب للمخرج توم كلانسي 1991، حيث يقوم الرجل القوي جون كلارك العميل السابق في وكالة المخابرات المركزية بتعذيب كلا المشتبهين لإجبارهما على تقديم معلومات حول الحرب النووية التي ينويان التعجيل بها. ولا يُعرَض التعذيب بشكل مباشر للقارئ:

بل بالأحرى ثمة تركيز على ممانعة كلارك ومبرراته المنطقية واستنتاجاته. حيث يخبرنا كلانسي عن انزعاج كلارك قبل بدء

---

(1) فريدريك فورسيث، قبضة الرب، (لندن: بانتام، 1994). العميل المزدوج في هذه الرواية الذي يقدّم للغرب معلومات عن برنامج أسلحة الدمار الشامل لصدام حسين في الفترة التي سبقت حرب الخليج الأولى، هو من ممارسي التعذيب؛ ومن جهة متعاطف، فهو يساعد في تجنب وقوع الكارثة، وغير متعاطف، لأنه يمارس التعذيب. وهذا يدل على أن الغرب قد يضطر إلى الاعتماد على الأشخاص الكريهين ومكاأتهم لأغراض استخباراتية - ولكن قطعاً هو كريه لأنه يعذب بشكل غير مبرر وفوضوي ويدعم دكتاتوراً شمولياً.

الاستجواب من اضطراره لممارسة التعذيب، ولكن في سياق كلامي فقط، مما يؤكد سهولة تغلبه على مخاوفه. «الحقيقة أنه كان يحتقر التعذيب، لكنه كان في أمس الحاجة لتلك المعلومات حينها وكان مستعداً لفعل أي شيء للحصول عليها»[1]. ليعود بعد فترة وجيزة ويصف كيف منعَتِ المعلوماتُ التي جمعها من هذا التعذيب حدوثَ دمارٍ نووي حراري اعترف هذان الشخصان بتدبيره في اللحظة الأخيرة، وكيف أعطى الرئيس إثر ذلك عذراً مباشراً وغير مشروط لاستخدامه[2]. يمثل هذا شكلًا من أشكال الخطاب البلاغي الشائع في نصوص سيناريو القنبلة الموقوتة: تأكيد ضرورة التعذيب وحذف تفاصيل ممارسته، ومن ثمّ التأكيد على نتائجه الإيجابية.

ولكن الأهم هنا هو الطريقة التي ينجح بها هذا المشهد في ربط الكثير من تفاصيل حالة الصراع، التي وصفها كلانسي، بهدف إظهار التعذيب كسلاح محايد أخلاقياً وله مزايا فريدة وتطبيقات ملائمة. تضم هذه الرواية، كباقي أعمال كلانسي، وصفاً شاملاً وتفصيلياً للخبرة المهنية المحنّكة والعقلانية التي يواجه بها الجيش الأمريكي التحديات الجيوسياسية العالمية للحرب، سواء في مجال الهندسة أو أنظمة الأسلحة أو القيادة أو التكنولوجيا أو الجنود. وقد لوحظ أن «كلانسي يمجّد فكرة الدرع التكنولوجي ذي القدرات الخارقة» ليتيح للقارئ «فرصة الاستمتاع بسرد حكاية طويلة عن

(1) توم كلانسي، مجموع كل المخاوف، (لندن: هاربر كولينز، 1993)، ص 993.
(2) المرجع السابق، ص 1003-1004.

انتصار الرجل الأقوى في نزال حتى الموت»[1]. لكن إضافة إلى إثارة متعة القارئ من خلال كشف الأسرار الخفية للحرب الباردة، ثمّة تأثير آخر لهذا الإصرار المستمر على المهارة والبراعة والمعرفة وهو التشديد على شرعية التكتيكات العسكرية عبر إبراز أسسها بالأدلة العلمية، واستثمار العمل الجاد الصادق الذي تتطلبه، واعتماد تقاليد مجتمع الجدارة meritocratic tradition الذي يتبوءون عرشه. في هذا السياق يسمح التصرف البلاغي، المتمثل في إظهار التعذيب كأداة وحيدة لإنجاز المهمة بنجاح، بأن يبدو هذا التعذيب جزءاً ضرورياً وطبيعياً وشرعياً من الحياة العسكرية كغيره من المهارات المهنية الأخرى. وعلى الرغم من أن كلارك يجده مقيتاً، فإنه ببساطة الطريقة الأنسب لمعالجة حالة خاصة. كما أن المقطع المنمّق الذي يكشف فيه كلانسي ما فعله كلارك على وجه التحديد لإجبار الإرهابيين على الاعتراف «لقد نجحت بفضل الطريقة التي تعاملت بها مع عظامهما المكسورة»[2]، أقول إن هذا المقطع يتميز بطابع شخص ما يلمّح إلى طيف واسع من المعارف التي استمدّت بدقة أكثر الأفكار المفيدة في الوقت المناسب. فيظهر التعذيب هنا على أنه قرار تقني بحت، فإذا كان المسمار غير ثابت في مكانه فأنت بحاجة إلى مفك لتثبيته، وإذا كان لديك إرهابي في الحجز فعليك تعذيبه للحصول على معلومات.

(1) سيليست فريزر دلغادو، «الإثارات التقنية العسكرية وتكنولوجيا الإرهاب: توم كلانسي ولجنة المفقودين»، النقد الثقافي، 32 (1995-1996)، ص 126:
http://www.jstor.org/stable/1354533

(2) كلانسي، مجموع كل المخاوف، ص 1003.

وتلك ليست حالة مختلفة. في روايات كلانسي الأخرى عن فترة الحرب الباردة أُظهر التعذيب كوسيلة ذات أثر فوري في إجبار ضحاياه على الامتثال. في رواية (ألعاب وطنية Patriot Games) عام 1988 على سبيل المثال، يهدد أبطال الرواية بإخصاء الشرير لإجباره على تقديم المعلومات التي تساعد الأبطال على كشف مؤامرة اختطاف تشمل أفراداً من العائلة المالكة البريطانية. وفي فيلم (خطر واضح وحاضر Clear and Present Danger)، يجبر البحارة قرصاناً على الاعتراف عن طريق استعراض إعدام وهمي لشريكه[1]. كما يُقدَّم التعذيب على أنه اسلوب طبيعي على اعتباره من بين أساليب الشرطة المعتمدة، ونشهد ذلك في المسلسل التلفزيوني (24)، حيث يستطيع أبطال مكافحة الإرهاب استخدام أحدث تكنولوجيا المعلومات والمراقبة الشاملة والأسلحة المتطورة، وسلطة قانونية واسعة، وقوى عاملة مسيطرة، ومركبات ملائمة لجميع التضاريس، والكثير غير ذلك. وتُعرض تقنيات الإجبار، مثل أمصال الحقيقة، والعنف الجسدي المباشر، والأدوية التي تسبب الألم على أنها مماثلة لتقنيات وموارد الشرطة الأخرى. ومن خلال هذا التشارك في مجموعة من التقنيات، وهي الطريقة التي يترافق بها كل نشاط لجهاز الشرطة مع مهمة نوعية محددة، يبدو التعذيب وكأنه خيار من بين مجموعة خيارات، لربما يكون أكثر إزعاجاً، لكنه مشروع كغيره، وبالقدر نفسه من الناحية العملية.

---

(1) توم كلانسي، ألعاب وطنية، (لندن: هاربر كولينز، 1988)، ص 575-576. كلانسي، خطر واضح وحاضر، (لندن: فونتانا، 1990)، ص 79-81.

بالعودة إلى أدب إنهاء الاستعمار الفرنسي يمكننا النظر في رواية جورج روبرت الفورد، التي نشرت عام 1971 بعنوان (حارس الشيطان Devil's Guard)، حيث نجد فيها مشهدين رئيسيّين للتعذيب. يتميز كلاهما بإخصاء متوحش للمقاتلين الفيتناميين، والتركيز على شدة العنف المارس للحصول على معلومات تكتيكية حاسمة وقابلة للتنفيذ على الفور[1]. أبطال هذه الرواية هم جنود من قوات الصدمة الألمانية يجنّدون للقتال لصالح الفيلق الأجنبي الفرنسي في الهند الصينية، وفي مرحلة معينة يتأمّل الراوي أساليب تعذيب الجستابو [الشرطة السرية الألمانية]، مشيراً إلى أنهم يفسرون لماذا تتمكن الشرطة النازية «من الحصول دائماً على جميع المعلومات التي تريدها». إذ يرى بطل الرواية أن الأساليب النازية «غير حضارية وغير إنسانية على الإطلاق لكنها فعّالة»[2].

في مثال آخر من الأدب البريطاني عن الحرب على الإرهاب تبرز روايات جيمس بارينجتون وبطله بول ريختر، الذي يستخدم العديد من الأساليب، كالقيادة المتهورة والطيران المبتكر لمكافحة الإرهاب أو تجنب حرب عالمية. وفي روايتين من أعماله، (المبالغة Overkill) و(الوباء Pandemic) يجمع ريختر بنجاح معلومات هامة عن طرق تعذيب المتّهمين[3]. في رواية المبالغة، يقول ريختر لأحد

---

(1) جورج روبرت إلفورد، حارس الشيطان، (نيويورك: ديل للنشر، 1971)، ص 120-124، 274-276.

(2) المرجع السابق، ص 118.

(3) جيمس بارينجتون، المبالغة، (لندن: بان بوكس، 2004)، ص 348، 589-590. بارينجتون، الوباء، (لندن: بان بوكس، 2005)، ص 631-638، 644-655.

أعدائه: «أي شيء أفعله لك يمكن تبريره، لأن أي شيء أمكنني القيام به يعدّ تافهاً تماماً مقارنة مع ما حاولتَ أنت القيامَ به»[1]. يفترض ريختر، بتجسيده نظرية النفعية، أنّ التعذيب الذي مارسه غير إشكالي من الناحية الأخلاقية لأنه تافه بالمقارنة مع الضرر الأكبر الذي قد ينجم عن تنفيذ المؤامرة الإرهابية، التي ثبت أن التعذيب يمنع حدوثها بشكل مباشر. إضافة إلى ذلك، يتشابه تأثير إظهار التعذيب، كمهارة من بين مهارات ريختر العديدة، مع تأثير إظهار كلانسي لـ كلارك كمحترف متعدد المهارات يستخدم هذه الوسيلة الأكثر ملاءمة للمهمة: إظهار التعذيب كضرورة عملية ومهارة مجدية عند تطبيقه بدقة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الإصرار على التعذيب، الذي يجبر الناس على الاعتراف، هو واحد فقط من بين قناعات عديدة وُجدت في هذه النصوص. إنّ على أولئك الذين ينسجون قصص سيناريوهات القنبلة الموقوتة إظهار فعالية التعذيب أيضاً في الحصول على معلومات مفيدة يمكن التحقق من صدقها واتخاذ إجراءات بشأنها، إذ بغياب هذا لا يمكن للتعذيب أن يحقق القيمة النفعية المرجوة في أي حجة نفعية تفضي إلى تبريره. فقدرة التعذيب على جعل الناس يعترفون، شيء، والحصول على معلومات موثوقة باستخدامه شيء آخر. هناك على ما يبدو افتراض في العديد من روايات سيناريو القنبلة الموقوتة بأن المعلومات المستخرجة جراء الإكراه البدني أو

(1) بارينجتون، المبالغة، ص 516.

النفسي صحيحة بشكل مباشر وغير معقد وموثوق. فعلى سبيل المثال يصف ممارس التعذيب المعلومات المجمعة تحت التعذيب في رواية بارينجتون «المبالغة»ـ بأنها «موثوقة تماماً دون أي احتمال للخطأ» لأنه «لا يستطيع أن يتخيل أن بإمكان [الضحية] سرد الأكاذيب في ظلّ ظروف استجوابه تلك»[1]. أي أن هذه الشخصية التي تقوم بالتعذيب تدَّعي أنها خلقت بيئة مشبعة بالمعاناة بحيث تكون النتيجة الوحيدة الممكنة هي الاعتراف بمعلومات حقيقية. هذا المنطق بسيط وواضح: الألم يستنطق الحقيقة؛ وكلما زاد الألم، زادت المعلومات الصادقة التي نحصل عليها.

لكن روايات توم باكنغهام التي كتبها أندي ماكناب تعدّل هذا الموقف إلى حدّ كبير. في رواية (حالة طوارئ State of Emergency) على سبيل المثال، يضرب بطل الرواية باكنغهام شخصاً ليحصل منه على معلومات، ويضغط بحذائه على جرح في رأس الرجل ولا يتوقف عن الضغط عليه. يؤكد ماكناب هنا على أن ما يقوم به توم هو استغلال بسيط لمهاراته المهنية. «لم يكن هذا انتقاماً. بل تطبيقاً لتقنية الألم ليتمكن توم من الحصول على ما يريده من الرجل»[2] وكذلك في رواية (الحصن Fortress) يستخدم باكنغهام التعذيب ثلاث مرات، ويقترب في كل مرة من حلّ اللغز السردي للرواية. لكن مشهد التعذيب الرابع والأخير في هذه الرواية يقدّم إشارة صارخة إلى فعالية التعذيب. يتعرض أحد أعداء باكنغهام للتعذيب

---

(1) بارينجتون، المبالغة، ص 449.

(2) أندي ماكناب، حالة طارئة، (لندن: بينجوين، 2015)، ص 230.

من قبل المنظمة الشريرة التي اخترقها كعميل مزدوج، ويعترف بتورطه في قتل أحد أصدقاء باكنغهام. ولكن كان من السهل على باكنغهام أن يرى على الفور فرقاً هاماً بين هذا التعذيب الوحشي غير المبرر والعنف المهني الذي مارسه شخصياً من أجل جمع المعلومات. «لم ينطق توم بحرف. كان يغلي من الغضب في داخله. لقد أدرك أن (قاضي) اعترف تحت تأثير التعذيب العنيف، لذلك لم يكن للاعتراف قيمة»[1]. قد يبدو هذا متناقضاً في البداية. ولكن كيف يمكن لشخص يضرب الناس للحصول على المعلومات أن يرفض اعترافاً منتزعاً تحت الضرب؟ لكن نقطة الاختلاف ببساطة هي الحياد المهني الذي يمارس به توم باكنغهام العنف. فهو يدرك جيداً متى عليه أن يتوقف وكيف يستخدم القوة بدقة وبالقدر الكافي للحصول على ما يريد؛ ويمكنه وصف التعذيب الذي يمارسه أرباب عمله الفاسدون بالمقزز، لأنه مفرط وغير ضروري وغير مهني. وهذا تمييز مهم جداً لأنه يرتبط مباشرة بوضع ماكناب كضابط حاصل على أوسمة في القوات الجوية الخاصة. يبين المؤلف هنا أن من الممكن ضرب الأشخاص للحصول على معلومات موثوقة كجزء من التكتيكات المهنية (التقنيات الخاصة بالعمل الاستخباراتي التي تشكل محور التركيز في روايات التجسس، بدءاً من كلاسيكيات هذا النوع الأدبي مثل أعمال جراهام جرين وجون لو كاريه، إلى الأعمال الجديدة مثل روايات كريس رايان وجيسون

(1) أندي ماكناب، قلعة، (لندن: بينجوين، 2014)، ص 244.

ماثيوز أو توم ماركوس)، شرط أن يكون لدى المرء إحساس بالتناسب وضبط النفس والمحاكمة السليمة.

تتجمع هذه العناصر (التعذيب كأداة احترافية للجاسوسية والحقائق المؤكدة المرتبطة بقدرته على انتزاع معلومات واضحة) في مشهد التعذيب الحاسم في رواية آلان ديرشوفيتز لعام 2010 (محاكمات صهيون Trials of Zion). يعتمد المحققون الاسرائيليون على حكمهم المنطقي لتقييم التكتيك الأكثر نفعاً لتطبيقه على المشتبه به، ويميزون بوضوح بين التعذيب الجسدي والتعذيب النفسي ليس على أي صعيد أخلاقي بل على صعيد عملي بحت. وبدلاً من استخدام العنف الجسدي يقوم ممارسو التعذيب بتخدير السجين وإقناعه بأنه يقف أمام الشخص الذي أساء معاملته في طفولته، مما يدفع الضحية (الذي يطلق عليه اسم «الهمجي Savage» من باب السخرية) إلى الاعتراف بمعلومات تمنع هجوماً إرهابياً يهدف إلى إثارة حرب في الشرق الأوسط مع إسرائيل، وهو نوع من تكرار مسرحية حرب الأيام الستة مع القوى العربية النووية. بطبيعة الحال، يلبّي التعذيب الغرض المرجوّ منه. «وأخيراً تحولت صرخاته إلى همسات. ومن ثم استسلم للصمت، وتدفقت الكلمات والمعلومات من فمه في نهاية المطاف»[1]. في هذا المشهد، نرى ممارسي التعذيب كمحترفين بلا قلب يتخذون قرارات منطقية حول التكتيك الأفضل

---

(1) آلان ديرشوفيتز، محاكمات صهيون، (نيويورك: جراند سينترال للنشر، 2010)، ص 323-325.

والأكثر فاعلية استناداً إلى التحليل الطبي والنفسي لقوى الضحية وقدرته على التحمل. ويقدّرون أن دنيس سافاج، ذلك المتعصب الديني الذي تدرّب كعميل استخباراتي، «كان معتاداً على الألم أو التهديدات»، لا يمكن «هزيمته إلّا عاطفياً»[1]. ليظهر التعذيب هنا كتقنية بوليسية ذات أساس مهني سليم، وأساس منطقي قائم على الأدلة ينفّذ بأسلوب نسبي وربما محدود (رغم الأذى الكبير الذي يوقعه، فإنهم يعتبرون إكراه «الهمجي» على الاعتراف ليس عملاً وحشياً أو دموياً). وثانياً، يظهر التعذيب كما لو أنه نتيجة سريعة وواضحة لعمليات استخباراتية يمكن اتخاذ إجراءات بشأنها، إذ بعد بضع صفحات فقط يعثر «جيش الدفاع الإسرائيلي» على قنبلة في مختبره لم يبق سوى بضع دقائق على انفجار موادها النووية[2]. يُعرض التعذيب أولاً كوسيلة للحصول على معلومات استخباراتية هامة بسرعة وبشكل احترافي من متعصب متشدد، وتبيّنَ لاحقاً أن هذه المعلومات ذات أهمية بالغة جداً لمنع وقوع فظائع نووية وشيكة، واندلاع حرب لاحقة صُمِّمت القنبلة لتكون شرارة البداية لاشتعالها. وكما هو متوقع بالنظر إلى أعماله المتكررة التي تقدم حججاً مماثلة، يستعرض ديرشوفيتز بطريقة شاملة وخطوة بخطوة الحجة النفعية التي يدافع بها عن التعذيب.

(1) ديرشوفيتز، محاكمات صهيون، ص 323.
(2) المرجع نفسه، ص 335.

المعارضون

نتيجة هذا الفهم لفكرة التعذيب غالباً ما تكون الشخصيات في نصوص سيناريو القنبلة الموقوتة مشبعة باليقين المريع حيال فعاليته. ولذلك فإنّ هؤلاء الغنوصيون المتشددون الذين يعرفون أن التعذيب ناجح يرفضون وبشكل صريح وقطعي كل من يخالفهم الرأي حيال ذلك. على سبيل المثال، في رواية بول جاريسون التي نشرت عام 2012 (قيادة جانسون The Janson Command)، وهي متابعة لسلسلة الراحل روبرت لودلوم، تسْخَر الشخصيات من الطريقة التي فشل بها بعض الناس في إدراك فائدة التعذيب.

«كان دوغ كايس مناهضاً للتعذيب. بقوّة. وأعتقدَ أن الجميع، سواء كانوا مواطنين أم جنود أو عملاء سريين، يشتركون في الحرب ضد الإرهاب. لذا فقد طالبَ بعدم تدمير أفضل ما لدينا، ألا وهو تحضّرنا وأخلاقنا لمجرد إنقاذ أنفسنا. وقال: إن الضحايا الأبرياء الذين قتلوا لأن الإرهابي لم يتعرّض لتعذيبٍ يجبره على الإدلاء بالمعلومات، إنما يموتون خدمةً للمصلحة العليا». وهي؟ «أخلاقنا»[1].

هنا يتمثل رفض دوغ كايس الأخلاقي للتعذيب، وخاصةً رفضه للتعذيب وفقاً لسيناريو القنبلة الموقوتة، بكونه رفضاً ظاهرياً لاستخدام الأداة الوحيدة المناسبة لهذا العمل. من المفترض أن يؤدي هذا الرفض مباشرة إلى وقوع عدد من الوفيات التي كان من

(1) بول جاريسون، روبرت لودلوم، قيادة جانسون، (لندن: أوريون، 2012)، ص 48.

الممكن تجنُّبها بالتأكيد لو استُخدِم التعذيب. لكن الغرض من هذا التبادل لا يقتصر على أن التعذيب فعّال، وأن المعارضة الأخلاقية غير المشروطة للتعذيب يُدفع ثمنها من أرواح الأبرياء. بل إن الغرض هو إظهار سخافة الإجابة بـ «لا» على سؤال وُضِع بصيغة تجعل من الضروري الإجابة بـ «نعم». يبدو رفض التعذيب هنا بمثابة تنازل استباقي لصالح الهزيمة، وتُصوَّر المعارضة الأخلاقية للتعذيب على أنها خداع. لأنه في (قيادة جانسون)، حتى أولئك الذين يعارضون التعذيب يقبلون فائدته ولكنهم يختارون بدلاً من ذلك تجاهل هذه الفائدة لصالح المبادئ المجردة. وهذا يؤكد حجج كلانسي ولارتيجوي اللذان يدّعيان أنّ الجميع، وخاصة المحترفين المدربين، يعرفون من تجاربهم المتكررة أن التعذيب فعّال، وأن الاختلاف الكبير بين أولئك الذين يوصون به عقلانياً على هذا الأساس وأولئك الذين يرفضونه عاطفياً على أنه مبالغ فيه، هو أن الذين يوصون به تقبّلوا حقيقة أن التعذيب وإن كان غير لائق فهو من أكثر إجراءات الاستجواب فعّاليةً. هنا نرى أن الموقف الأيديولوجي الذي يبرّر ارتكاب الفظائع يُعدُّ جزءاً من نسيج الفطرة السليمة الطبيعية، وأنّ أولئك الذين لا يتفقون مع هذه الأيديولوجية لا يدركون الحقائق الواضحة التي تؤلف الواقع المنشود.

هنا تتجسد العاقبة الصادمة لهيمنة الغنوصية القتالية على وجه الخصوص: من لا يمارس القتال ولا يمارس التعذيب غير قادر إطلاقاً على استيعاب حالات الأزمات الطارئة الملحّة بصورة

مجدية. وتتكرر سمات شخصية دوغ كايس في رواية جاريسون في أعمال أخرى مثل شخصية الموظف في الأمم المتحدة في فيلم (الخلاص: 24)، الذي يوصف بأنه «طفل» لأنه لم يتقبّل استخدام الأساليب العنيفة، أو شخصية «المحامي المتملّق» الذي يعمل في منظمة محاماة غير حكومية خيالية تدعى منظمة العفو الدولية (من الواضح أنها سخرية من منظمة العفو الدولية) التي ظهرت في الحلقة الثامنة عشر من الموسم الرابع لمسلسل 24. حيث تجعله المُثُل الساذجة شخصاً متواطئاً مع الإرهابيين دون إدراك منه، لأنّ إصراره على الإجراءات القانونية الواجبة يمنع تعذيب الإرهابي الذي يعرف الجمهور أنه مذنب. إن منع التعذيب في هذه الحلقة يعرقل جمع الأدلة الحاسمة ويسهّل مهمة الإرهابي. وهذا يَعرُض بصورة واضحة قوانين حقوق الإنسان على أنها ليست مجرد عقبة بيروقراطية لا جدوى منها سوى تقييد حركة أولئك المقاتلين على الخطوط الأمامية في الحرب ضد الإرهاب فحسب، بل هي أيضا عقبة مضلّلة وغبيّة جداً في أساسها. هذا المحامي معمى عليه بسبب طبيعته السلمية التي تورّطه في العمل لصالح الإرهابيين بسبب غبائه، وعدم إدراكه أن التعذيب تقنية مفيدة وموضوعية للغاية. وبالمثل، في فيلم (اللامعقول Unthinkable)، يردّون بنفاذ صبر على عميلة مكتب التحقيقات الفدرالي التي تعترض على التعذيب لأنه لا يتوافق مع الدستور الأمريكي، بالقول «إذا انفجرت تلك القنابل لن يعود هناك أي دستور لعين». ويعني هذا أن المفاهيم القانونية للعدالة، والقيود المفروضة على السلطة بناءً على المفاهيم

المجردة مثل حقوق الإنسان، تُعرَض مراراً وتكراراً على أنها غير ذات أهمية أثناء وقوع الأزمات الطارئة.

وفي مشهد التعذيب في فيلم (سقوط البيت الأبيض Olympus Has Fallen)، وبعد تسلل مجموعة من الإرهابيين الكوريين الشماليين إلى البيت الأبيض، تتضح عواقب هذا الفهم القاصر المناهض للتعذيب. إذ يخبر بطل الرواية، العميل بانينج، اثنين من الأسرى الكوريين الشماليين أنه خبير في انتزاع المعلومات من أشخاص مثلهما. ولكن بدلاً من الشعور بالخوف، ينفجر الأسيران ضاحكين. من الواضح أن الإرهابيين يشعران بالثقة ليقينهم أن الولايات المتحدة المثقلة بالتزامها بحقوق الإنسان والديمقراطية لن تسمح بتعيين عملاء متمرسين في استخدام أساليب التعذيب الفعالة. لكن بانينج يعرف ما عليه فعله: يقتل أحدهما بضربة سريعة من سكينه، ويأمر الآخر بالاعتراف. ويزيل الكمامات ويطعن الإرهابي في الفخذ عندما يبدأ في الصراخ غاضباً باللغة الكورية، ويصيح به بشراسة «تحدَّثْ بالإنجليزية». ونرى بانينج في المشهد التالي يحمل إلى رؤسائه معلومات حول هوية زعيم المجموعة الإرهابية. إن الغرض من هذا المشهد ليس مجرد العرض النموذجي لفكرة أن التعذيب أسلوب سريع للحصول على المعلومات. بل أيضاً لإظهار أن الإصرار على إلغاء التعذيب يضعف الديمقراطيات عسكرياً ويمكّن الإرهاب في المقابل. أي أن الفكرة المنطقية تصبح على النحو التالي: نعلم أن التعذيب فعّال لكننا نمتنع عن ممارسته لأنه غير قانوني دولياً، لكن احترامنا للقانون

يجعلنا معرَّضين للخطر ويشجّع الأعداء على التقليل من شأننا، مما يجعل استخدامه حاجة ضرورية نظراً لفعاليته وقدرته على إبراز قوتنا. إن روايات التعذيب في سيناريوهات القنبلة الموقوتة تحتاج إلى الفكرة التي تؤكّد أن القوانين تقيد البطولات الحقّة. وسنجد السبب في الفصل التالي.

لكن، إذا كان التعذيب فعّالاً، لماذا لا نمارسه؟

ينصّ مبدأ الحدّ الأدنى من الضرر النفعي على أن العملاء الذين يتحملون المسؤولية الأخلاقية عليهم دائماً اتّباع أساليب تقلّل من المعاناة الكلية في العالم. وهذا أمر يصعب الجدال فيه حالياً. ولكن كيف يمكن لأي شخص يتمتع بحسن النية أن يرفض وجوب التخفيف من الضرر؟

ولا يمكن تصديق أن التعذيب يخفف الضرر. في الحقيقة قد ينجح التعذيب، حيث أخبرني أحد العاملين في مجال حقوق الإنسان بصفةٍ غير رسمية أن التعذيب فعال بالتأكيد. ولكن يجب أن نكون حذرين بشأن هذا الموضوع لأنه أكثر تعقيداً مما يبدو. أولاً: إن فاعلية أي تكتيك أو استراتيجية أو فعل معين لا علاقة لها بها إذا كان التعذيب خطأ أم لا. حتى لو كان واضحاً أن التعذيب فعّال دائماً فسوف يظل خطأ من الناحية الأخلاقية. ويتضح الأمر من خلال مقارنة مع العبودية: لأن الغرض من العبودية ناجح بشكل لا يوصف، ويتمثل باستغلال كافة السكان استغلالاً مادياً واقتصادياً تاماً. وهي مكروهة أخلاقياً بالطبع حتى من حيث المعايير النفعية

بسبب القدر المرعب من المعاناة الذي تسببه للعالم. إلى جانب أن التعذيب وإن كان فعالاً عندما تستوجب ممارسته، فإنه لا يُطبّق بالطريقة التي تدّعيها هذه التمثيلات. يتطلب سيناريو القنبلة الموقوتة ممارسة التعذيب بأسلوب التأثير اللحظي: يستمرّ السجين بالمقاومة إلى أن يتسبب العنف الجسدي في بلوغ شدة الألم عتبة معينة، وبعدها «ينهار» السجين، ويبدأ في الكشف بشكل مفصل ومترابط عن معلومات مفيدة. في الحلقة الأولى من الموسم الرابع من مسلسل (24) على سبيل المثال، يبدأ استجواب السجين دون استخدام القوة، ويرفض بعناد الكشف عن هوية الشخص المستهدف في محاولة الاغتيال. يشتدّ غضب بطل المسلسل جاك باور في حجرة الاستجواب ويطلق النار على ركبة السجين. ثم يوجّه سلاحه نحو الأخرى، مما يجبر السجين في تلك اللحظة على كشف هوية الضحية المستهدفة. يعدّ التعذيب هنا تقنية سريعة تؤدّي الغرض المرجو منها مباشرة، حيث تظهر أساليب الشرطة التقليدية قاصرة بالمقارنة معها. وغنيّ عن القول إن هذا ببساطة غير واقعي. عندما يحطم التعذيب مقاومة الأشخاص فإنه يفعل ذلك ببطء، على مدى أسابيع أو شهور، بحيث تصبح عوامل نفسية مثل العزلة واليأس والخوف من المزيد من التعذيب أكثر أهمية في تحطيم المقاومة مقارنة مع ممارسة أي تعذيب آني[1].

---

(1) هاسنر، «أسطورة القنبلة الموقوتة»، ص 89.

أخيراً، وربما كان الأهمّ، أنّ هناك قفزةً واضحة من فكرة أن التعذيب يمكن أن يجبر أي شخص على الاعتراف، إلى الفكرة القائلة بأن التعذيب وسيلة للوصول إلى الحقيقة، وبالتالي وسيلة لفعل الخير في العالم. في إحدى حلقات موسم 2008 من الكوميديا السوداء السريالية (فيلادلفيا دائماً مشمسة It's Always Sunny in Philadelphia) يعبُر مشهدٌ فيه بعض التهكم على فائدة التعذيب. كان فرانك يمارس التعذيب بأسلوب الإيهام بالغرق على (دي) لإجبارها على الاعتراف بأشياء يعرف المشاهد أنها لم ترتكبها. (الإيهام بالغرق هو سكب الماء على وجه الضحية بطريقة لا تسبب الغرق بل تعطي شعوراً بالألم والخوف المرافقين للاختناق) يدخل ماك، ودينيس، وتشارلي، ويوقفون التعذيب، ويتغير المشهد. لاحقاً، يستفهم ماك من فرانك عن نتائج ذلك التعذيب.

ماك: هل لي بسؤال، فرانك. هل يجدي أسلوب الإيهام بالغرق نفعاً؟

فرانك: (يقهقه ضاحكاً)، هل أنت جادّ؟! لقد أجبرتُها على الاعتراف بأشياء لم تفعلها قط.

دينيس: هو أسلوب ناجح إذاً[1].

لاحقاً، تخطط العصبة لاستخدام أسلوب الإيهام بالغرق على شخص يكرهونه كي يعترف بجرائم لم يرتكبها. إن التعذيب مثالي

(1) فيلادلفيا دائماً مشمسة الموسم الرابع الحلقة الثانية: العصابة تحل أزمة النفط (2008)، إخراج مات شكمان.

لتلبية مطالبهم: يساعدهم على توريط العدو زوراً، واختلاق قصة زائفة لتبرئة أنفسهم من جرائمهم الشنيعة بشكل غير أخلاقي.

إن للتعذيب فائدة بالتأكيد، لكن فائدته هذه تعتبر مصدر اعتزاز المتسلطين والأغبياء والمستبدين: حيث يمكنه أن يجبر شخصاً على الإدلاء باعترافات سواء كانت صحيحة أم لا، ويدمّر ويخيف المعارضين، ويحطم حياة الأشخاص الذين نرغب في اضطهادهم. ينجح الكاتب اليهودي جان أميري الذي تعرّضَ للتعذيب على يد الجستابو، في تأكيد جدوى الطريقة التي يُجبِر بها التعذيب الناس على الاعتراف:

لقد اعترفتُ. اتهمتُ نفسي بارتكاب جرائم سياسية سخيفة، وحتى الآن لا أعرف على الإطلاق كيف جرى الأمر، فقد كنت معلّقاً بالحبال، يحدوني الأمل بعد اعترافي بتلك الإقرارات الإجرامية أن أنال ضربة موجهة بدقة إلى الرأس تضع حداً لبؤسي وتمنحني موتاً سريعاً، أو على الأقل فقداناً للوعي[1].

لقد أقرّ بكل التهم التي وجهها إليه معذبوه أملاً بأن يضع حداً لمعاناته وللرعب الذي كان يتعرض له. يمكن لهذين المثالين أن يبرهنا إلى حد ما أن التعذيب هنا ليس تقنية حسم سريعة كما يدّعي سيناريو القنبلة الموقوتة، بل هو عملٌ وحشيٌّ مرعب لا يمكن تبريره أخلاقياً.

---

(1) جان أميري، عند حدود العقل: تأملات أحد الناجين من معسكر أوشفيتز وحقائقه. سيدني روزنفيلد، ستيلا بي روزنفيلد، (إنديانا: مطبعة جامعة إنديانا، 1980)، ص 36.

ولكن هل من المؤكدٌ أن التعذيب يساعد قوات الشرطة في جمع المعلومات؟ ربما نعم. تمتلك قوات الشرطة ووكالات إنفاذ القانون الأخرى مجموعة متنوعة من الوسائل المتاحة لهم لجمع المعلومات، بعضها أكثر فعالية من غيرها. لكن تشير الصحفية جين ماير إلى أن المشكلة تكمن عند جمع المعلومات في تحديد ما هو حقيقي[1]. كيف يمكن لأي شخص، في حالة سيناريو القنبلة الموقوتة أن يثق بصحة المعلومات التي قدمها المشتبه به بعد تعرّضه للتعذيب، ناهيك عن تأكيدها أو التصرف بناء عليها؟ يشير محامي حقوق الإنسان كلايف ستافورد سميث إلى أن «الأخطاء شائعة جداً حتى عندما نستخدم أكثر أساليب الإكراه بساطة»[2]، لذا فإن التعذيب في حالة الإكراه الشديد يكون بالتأكيد أكثر عرضةً للخطأ. كل الروايات المذكورة هنا تتجاهل هذه المشكلة الهامة، وتشير إلى عدم قدرة أي شخص تحت التعذيب على إثارة ارتباك المعذِّب من خلال الاعتراف بأنصاف الحقائق أو اختلاق أكاذيب ماكرة، بل أن ممارس التعذيب سيتمكّن دائماً من التمييز بين اختلاق تجريم الذات والاعتراف الحقيقي بالذنب تحت التعذيب الشديد. علاوة على ذلك فإن المعلومات المنتَزَعة تحت التعذيب في تلك الروايات تُعرَض دائماً على أنها المعلومات المطلوبة بالضبط من أجل تجنب وقوع الكارثة،

(1) جين ماير، الجانب المظلم: القصة الداخلية حول كيف تحولت الحرب على الإرهاب إلى حرب على المثل الأمريكية، الإصدار الثاني، محرّر. (نيويورك: أنكور بوكس، 2009)، ص 178.

(2) كلايف ستافورد سميث، الأشرار: خليج جوانتانامو والسجون السرية، (لندن: فينيكس، 2008)، ص 35.

أو على الأقل لضبط تطور الأحداث في الحبكة القصصية بدلاً من المعلومات الجزئية غير الواضحة أو المتناقضة. وهنا تكمن مشكلة استخدام التعذيب كآلية أساسية في تقدم الحبكة القصصية: فإذا أُدرج مشهد تعذيب في نص من أجل إدخال معلومات من شأنها دفع القصة نحو الأمام، يصبح من الضروري ألا يظهر التعذيب كمسار درامي سريع وموثوق لانتزاع معلومات عملية ومفصلة ومفيدة.

نعود لنقول إن هذا لا يمكن تصديقه ببساطة. من المعروف أن التعذيب ينتج اعترافات متضاربة أو غير مترابطة، أو ببساطة غير صحيحة. ويصف داريوس ريجالي الأمر قائلاً: «بالنسبة لجمع المعلومات، يعدّ التعذيب أغبى الطرق المتاحة للمؤسسات، بل وأكثر غباءً في بعض الحالات من رمي العملة المعدنية أو إطلاق النار بشكل عشوائي على الحشود»[1]. إن هيئة مجلس الشيوخ الخاصة المسؤولة عن تحديد لجان الاستخبارات التي تضع برامج الاعتقال والاستجواب لوكالة الاستخبارات المركزية، والتي رُفعت عنها السرية جزئياً عام 2014، توصّلت بالإجماع إلى أن التعذيب في سجون الموقع الأسود لوكالة الاستخبارات المركزية لم يدفع السجناء إلى الكشف عن أي معلومات استخبارية لم تكن متاحة بخلاف ذلك، وأن ممارسة التعذيب جعلت السجناء يكذبون، أو يحرفون المعلومات التي يدلون بها. وبالتالي، كانت القيمة النفعية

(1) ريجالي، التعذيب والديمقراطية، ص 478.

سلبية، إذ لم تساهم في جمع أي معلومات ذات قيمة للتحقيقات، كما حجبت معلومات أخرى ربما كانت ذات قيمة[1]. يقدم عناصر الشرطة مثل العميل الخاص السابق في هيئة التحقيقات الجنائية البحرية NCIS مارك فالون والمحقق العسكري ماثيو ألكسندر، انتقادات لاذعة لفعالية الاستجواب تحت التعذيب بناء على حجة نابعة من تجربة شخصية مفادها أنّ التعذيب يهدم المصداقية وبالتالي يقلل من فرص تحصيل معلومات موثوقة، وأنه يفسد المؤسسات، وبالتالي يضعف الديمقراطيات في معاركها ضد خصومها[2].

إن فكرة أن التعذيب وسيلة مباشرة لتحصيل المعلومات المفيدة تعدّ مغالطة خطيرة ومضللة، وتكتسب الكثير من مصداقيتها وزخمها في الواقع من خلال تداولها المتكرر في النصوص الثقافية (وهو أمر غير مبرر ولكنه مقبول بديهياً على أنه حقيقة بيّنة). وتمثيل التعذيب كتقنية موضوعية يزيحه من نطاق الاعتبارات الأخلاقية إلى نطاق الخبرات المهنية. ومن نكون نحن المواطنين العاديين لنشك

(1) لجنة الاستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ، دراسة اللجنة لبرنامج الاعتقال والاستجواب في وكالة المخابرات المركزية، نيويورك تايمز، 9 ديسمبر 2014، ص 2:

http://www.nytimes.com/interactive/2014/12/09/ world/cia-torture-report-document.html.

(2) ماثيو ألكسندر، [اسم مستعار]، مع برونينج، جون ر. كيف تحطم مقاومة الإرهابي؟: المحققون الأمريكيون الذين استخدموا العقول بدلاً من الوحشية لإسقاط الرجل الأكثر دموية في العراق، (نيويورك: فري برس، 2008)؛ مارك فالون، الوسائل غير المبررة: قصة داخلية عن كيفية تآمر وكالة المخابرات المركزية والبنتاجون والحكومة الأمريكية لصالح التعذيب، (نيويورك: ريغان آرتز، 2018).

بسلطة وخبرة الأخصائيين العسكريين؟ هذه الحركة، أو البادرة التي ترسّخ فعالية التعذيب الواضحة والمنطقية، تُعدّ أيديولوجية خالصة وُجِدتْ فقط من أجل تبرير ما لا يمكن تبريره.

الفصل الثاني

الفضيلة

بطولات الشر من (هاري القذر) إلى (ديرديفيل)

وبهذه الطريقة ينزل ملاك الدينونة من السماء[1].

هاينريش فون كلايست

إن الحجة القائلة بأن التعذيب يمكن أن يكون فعّالاً عند مكافحة الإرهاب غالباً ما تتحول إلى حجة تبرر ضرورة اتخاذ إجراءات صارمة في حالات الطوارئ، واستصواب العنف في عدد محدود ونادر من السيناريوهات. أي أن سيناريو القنبلة الموقوتة عبارة عن نسخة محدودة عاطفياً لحجّة فلسفية أكثر عمومية حول صعوبة الاختيار بين الأشكال حتمية الضرر. وفي حين درس الفصل السابق مسألة التطبيق العملي، يبحث هذا الفصل في مسألة الأخلاق: أي مسألة إظهار التعذيب ليس فقط كسلوك معقول بل كسلوك صالح أيضاً.

(1) هاينريش فون كليست، مايكل كولهاس، مترجم: مارتن جرينبرج، (نيو جيرسي: دار مليفيل للنشر، 2008 [1810]).

على المستوى العام، تضح المشكلة الأخلاقية وراء الاختيار بين أهون الشرور من خلال تجربة فكرية مميزة تدعى (معضلة العربة The Trolley Problem). تسألنا معضلة العربة أن نتخيّل موقفاً لا يستطيع فيه سائق القطار الخارج عن السيطرة إيقاف العربة التي ستقتل بعض الأبرياء الذين يعترضون مسارها دون قصد، عالقين داخل حافلة مدرسية أو سيارة عائلية مثلاً تعطّلت على تقاطع للسكك الحديدية.

يتوفر مسار بديل للسائق، لكنه مشغول أيضاً من قبل شخص بريء، ربما كان مسافراً وحيداً يسير فوق ممرات السكك الحديدية. السؤال، بطبيعة الحال، يدور حول مسألة الاختيار: لا يستطيع سائق القطار إيقاف القطار، لكنه قادر على اختيار المسار الذي يسلكه. إنه غير مسؤول عن طبيعة التهديد، لكنه يستطيع -أو يجب عليه- اختيار كيف يعالج هذا التهديد. ما الذي ينبغي عليه فعله؟ من الواضح أن الأمر لا يتعلق بما يرغب به، لأن أي من الخيارين ينطوي على قتل شخص دون قصد عن طريق قوة لا يمكن صدّها. بل يتعلق بالخيار المفضّل من الناحيتين الأخلاقية والعملية. ترى الفيلسوفة جوديث طومسون، على سبيل المثال، أنه حتى في حال عدم إجماع الناس على الواجب الأخلاقي الذي يفرض أن يسلك القطار المسار الذي سيؤدي إلى أقل عدد من الوفيات، فإنّ أحداً لن يقول إن من الخطأ أخلاقياً تقليل أعداد القتلى[1]. قد لا نرغب

---

(1) جوديث جارفيس طومسون، «معضلة العربة»، مجلة ييل للقانون، 94: 6 (1985)، ص 1395-1415.

في قتل الشخص الوحيد الذي يتجول فوق السكك الحديدية (وإن كان يتعدّى على ممتلكات عامة، فهو لا يستحق الموت من أجل ذلك)، ولكن من الصعب عدم الاعتراف بأن قتل شخص واحد أفضل من اصطدام القطار بحافلة مليئة بأطفال المدارس. وبالتالي، يمكن فهم الاختيار الواعي الخاطئ أخلاقياً الذي يحكم بقتل شخص واحد وإن كان على مضض، يمكن أن يُفهم في الوقت نفسه على أنه تصرُّفٌ فاضلٌ أخلاقياً إذا منَعَ وقوع عدد أكبر من حالات القتل العرضي.

يمكن أيضاً طرح قضية أهون الشرور في سياق صنع القرار السياسي. عندما يُصاغ السيناريو على أنه مشكلة حكومية، يُعرف حينها باسم معضلة الأيدي القذرة. ففي عالم غير مثالي، يتمثل السيناريو في حالات من المحتم فيها أحياناً أن يضطر أولئك الذين في السلطة إلى اتخاذ قرارات كريهة ومعقدة لا تنطوي على خيارات مرغوب فيها، لكن لا يمكن تجنب الاختيار في الوقت نفسه. في مقالة كلاسيكية، كتب المنظر السياسي مايكل والزر، ملخِّصاً جوهر المشكلة، إن «فعلاً معيناً تقوم به الحكومة (في حزب سياسي أو في الدولة) قد يكون بالضبط الشيء الصحيح الواجب فعله من حيث القيمة النفعية، ومع ذلك يُعتبر الرجلُ الذي قام بذلك الفعل مذنباً لارتكابه خطأً أخلاقياً»[1]. إن المخاوف الأمنية، على سبيل المثال، غالباً ما تمكّن الحكومات من الادعاء بأنها تقلل الضرر المحتمل

(1) مايكل فالزر، «العمل السياسي: معضلة الأيدي القذرة»، الفلسفة والشؤون العامة، 2.2 (1973)، ص 161.

على (الكثرة) من خلال انتهاك حقوق (القلة)؛ ويُنظر إلى **المراقبة المتطفلة**، على سبيل المثال، على أنها تقنية بوليسية تتمتع بحقّ اقتحام الخصوصيات بشكل كبير، ومع ذلك فإن الأساس المنطقي لها قائم على أن التضحية بالقليل من خصوصية (البعض) يزيد من السلامة العامة لـ (عموم السكان). في مسرحية جان بول سارتر (الأيدي القذرة)، تلاحظ شخصية هويدرير أن من المستحيل الحكم دون إلحاق ضرر من نوع ما. «حسناً، لديّ يدان قذرتان حتى المرفقين، لقد أغرقتُهما في القذارة والدم»، هذا ما ورد في الخطاب الشهير الموجه إلى هوغو الذي يعترض على رغبة هويدرير في التواطؤ مع العنف السياسي من أجل الوصول إلى السلطة. «ولكن ماذا تأمَلْ؟ هل تعتقد أن بإمكانك أن تحكم ببراءة؟»[1]، وجهة نظر هويدرير هي أن مناصب السلطة التي يسعى إليها الناس بقصد فعل الخير، تتطلّب أيضاً من شاغليها تقديم تضحيات كريهة؛ حيث إن حكم الأغلبية بقصد خدمة المصلحة العامة ينطوي لا محالة على إيقاع الضرر بالبعض.

ومع ذلك، فإن وجهة نظر سارتر الأشمل هي أن هذه الحجج غالباً ما تُستخدم من قبل أولئك الذين في السلطة لتصوير جرائمهم على أنها ضرورة حتمية، أو حوادث مصيرية مأساوية، وليست خيارات مدروسة. فالسياسات الاقتصادية لحزب المحافظين البريطاني، على سبيل المثال، فرضت التقشف المالي واقتطاعات هائلة

(1) جان بول سارتر، «الأيدي القذرة»، في «لا مخرج» وثلاث مسرحيات أخرى، مترجم من قبل ستيوارت جيلبرت، (نيويورك: فينتاج، 1955)، ص 224.

في الميزانية كمبادئ سياسية هدفت إلى إعادة التوازن إلى الاقتصاد الوطني على مدى العقد الماضي. وقد تسبّبت هذه السياسات في معاناة شديدة لبعض فئات الشعب البريطاني. وذكر تقرير للأمم المتحدة عام 2018، أن خُمس الشعب البريطاني يعيش الآن في حالة فقر[1]. ومع ذلك، يرى المحافظون البريطانيون أن الهدف النفعي للازدهار الاقتصادي أكثر أهمية من العواقب السياسية والأخلاقية الخاطئة لخيارات السياسة التي سعت إلى تحقيقه (من المتوقع ارتفاع معدلات فقر الأطفال إلى 40 ٪ بحلول عام 2022). وصف الحزب التقشف كوسيلة لإعادة بناء الاقتصاد الوطني بعد الانهيار المالي عام 2008، ولكن دفعت الطبقات الأكثر فقراً في المجتمع البريطاني ثمن هذا الإجراء. وتورَّطَ المحافظون البريطانيون في قرار متابعة التقشف إلى حدّ كبير، ومع ذلك عمدوا إلى تبريره من خلال الزعم بأن ما من بديل له: كان لا بد من إنقاذ الاقتصاد بطريقة أو أخرى؛ ولا يمكن طهي العجة دون كسر البيض.

وبالتحديد أكثر، تعدّ هذه المعضلة أيضاً «موضوعاً كلاسيكياً في علم اجتماع الشرطة» يشير إليه علماء الجريمة وعلماء الاجتماع في

---

(1) «بيان حول زيارة للمملكة المتحدة»، موقع الأمم المتحدة على شبكة الإنترنت 16/ 11/ 2018، ص 1.
https://www.ohchr.org/Documents/Issues/Poverty/EOM_GB_16Nov2018.pdf.
ويخلص أستون إلى أن «تجربة المملكة المتحدة، خاصة منذ عام 2010، تؤكد الاستنتاج القائل بأن الفقر خيار سياسي» (22).

قطاع الشرطة باسم معضلة هاري القذر[1]. غالباً ما تكون مكافحة الجريمة، بطبيعة الحال، وظيفة مرعبة وخطيرة، تعرِّض ضباط الشرطة لمخاطر بدنيةٍ كبيرة. ومن المخاطر الأخلاقية المعروفة في مهنة الشرطة شعور العاملين فيها أن الوسائل المتاحة لهم (والتي تعدّ قانونية بحتة) غير كافية لأداء مهامهم. ومن هنا يظهر إغراء الالتفات إلى أساليب غير قانونية لمكافحة الجريمة، مثل اعتماد القوة المفرطة، وظروف الاعتقال الوحشية، والتعذيب، وتجاوز الإجراءات القانونية الواجبة، باعتبارها أساليب أكثر فعالية لأنها أشد قسوة. السؤال الأساسي لمعضلة هاري القذر هو: تحت أي ظروف يمكن لهذه الأشكال من ممارسات الشرطة القاسية والخاطئة، أن تساهم في الواقع في نجاح القضية ذات القيمة الأعظم، وهي ضمان مجتمع أكثر عدلاً وسلميةً؟ يلخص كارل كلوكارس المسألة عبر طرح سؤال: «متى وإلى أي مدى تبرر النهاية الأخلاقية الحسنة الوسيلة الأخلاقية أو السياسية أو القانونية المتبعة لإنجازها؟»[2].

قد يبدو هذا مكرراً، لأن هذه التجارب الفكرية مثل معضلة العربة، ومعضلة الأيدي القذرة لدى الحكومات، ومعضلة هاري

(1) سيلج برينسرود فيجار، وأوتو بيترسون، وجونار توماسين، «من القانوني إلى هاري القذر: مواقف رجال الشرطة تجاه ممارسات الشرطة غير القانونية». المجلة الأوروبية لعلم الجريمة، 11: 6 (2014)، ص من 745 إلى 759:
http://dx.doi.org/10.1177/1477370814525935

(2) كارل ب. كلوكارس، «معضلة هاري القذر». حوليات الأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية 452 (1980)، ص 35:
http://www.jstor.org/stable/1042758

القذر، وسيناريو القنبلة الموقوتة، تشترك جميعها في الاهتمام الموحد بحتمية إجبار أشخاص واعين أخلاقياً على اتخاذ خيارات كريهة، لكنها ضرورية، عند مواجهة معضلات الخسارة المستعصية على الحل. وهي عبارة عن تعاريف للموضوع المشترك المتمثل في حتمية إلحاق الضرر، بغض النظر عن مدى إحجام المرء عن القيام بذلك.

بالعودة برهة إلى معضلة العربة، نجد أن المبدأ الأخلاقي الذي وضع السيناريو من أجل ترسيخه يختلف عن سيناريو القنبلة الموقوتة، بمعنى أنه ينطوي على القتل وليس على التعذيب (إذ أنه في الحالات النادرة التي ستؤدي حتماً إلى معاناة الأبرياء، يجب أن يعترف العملاء الأخلاقيون بأن الخيار الذي يقلل من الكمية الإجمالية للمعاناة هو المسار الأكثر قبولاً). ولكن الحساب النفعي الذي نستند إليه واحد، ويتناول المعاناة كمسألة كمية يمكن التحكم بها بشكل مسؤول عبر اتخاذ قرارات عقلانية. إن سيناريو القنبلة الموقوتة قائم على الاختيار بين السماح بانفجار القنبلة وقتل العديد من الأبرياء، وبين تعذيب الشخص المسؤول عن وضع القنبلة في منطقة مأهولة بالسكان. ومن ثم، يُصبح مفهوماً أن الشخص الذي يتخذ قرار الاختيار هو المسؤول عن أي من النتيجتين: إما أن تعذِّبَ شخصاً مذنباً، أو تختار قتل السكان الأبرياء في أحد أنحاء المدينة. بالتالي، كل ما يجب تعديله في معضلة العربة من أجل الوصول إلى سيناريو القنبلة الموقوتة، هو استبدال خيار القتل غير المتعمَّد بالتعذيب، والأهم من ذلك، استبدال الشخص البريء

بالمجرم المذنب، أو في الواقع، استبداله بالشرير الذين قطع الفرامل في المقام الأول. (تذكَّرْ أيضاً أن التعذيب يُفهم على أنه وسيلة فعالة لإيقاف القنبلة مباشرة). عند الاختيار بين تعذيب أحد الأشرار من جهة والمسؤولية المشتركة عن قتل الأبرياء (الأمر الذي سيجعلك متواطئاً مع واضع القنبلة) من جهة أخرى، من النادر أن يكون هذا الخيار خياراً أساساً على الإطلاق. إذ أنك ستقوم به بالطبع.

هذه النقطة الأخيرة هي الأكثر أهمية، فإذا كان الشخص الذي يضحى به من أجل الصالح الأعظم هو الشخص الذي يتحمل المسؤولية عن المأزق، فإنَّ تعذيب من يستحقون العقاب يجعل التعذيب شكلاً من أشكال العدالة في حد ذاته. بما أن الإرهابي زرع القنبلة، فإن من الواضح أن تعذيبه فعلٌ صائب، لأن من المفهوم أن التعذيب وسيلة موثوقة لحل المعضلة، كما رأينا، وأيضاً لأن التصرف الشرير لزارع القنبلة ورّط الجميع في هذه الفوضى في المقام الأول. ولكن يقع الارتباك المفاهيمي عند هذه النقطة بالضبط. يُقَدَّم التعذيب على أنه عملٌ عنيف يُسمح به أخلاقياً لأن له صلة في الوقت نفسه بمجريات التحقيق وعقاب المجرم. أي في روايات سيناريو القنبلة الموقوتة، يظهر التعذيب غالباً على أنه مستحق كنوع من العدالة، لأن تعذيب الإرهابي هو في الوقت نفسه طريقة لهزيمة مخطط زارع القنبلة، وكذلك طريقة لمعاقبته على فعلته. يجب أن نعترض دائماً على فكرة أن أي شخص يستحق التعذيب، خاصةً عند تضليله عمداً فيما يُستخدم غالباً كمبرر منطقي لممارسة العنف من قبل الدولة.

في نظرية (الدرون Drone Theory)، كتب جريجوار شامايو أنه بالنسبة لمشغلي طائرات الدرون العسكرية، يمكن وصف البطولة على أنها: فكرة أن يكون من الشجاعة القيام بشيء يبدو بغيضاً في البداية وليس شجاعاً على الإطلاق، شريطة أن يفعله المرء في نطاق الواجب وباسم أهداف سامية تكون خيّرةً وعادلة في حد ذاتها. وبعبارة أخرى، تتمثل الشجاعة في القيام بالعمل القذر[1].

قد يكون هذا أيضاً وصفاً لأخلاقيات البطولة التي تدعم العديد من روايات التعذيب وفق سيناريو القنابل الموقوتة. كما نرى، لا أحد يجادل في أن التعذيب بحدّ ذاته أمرٌ مرغوب فيه. ومع ذلك، وبما أنه مُنِح سمة الفعالية، فسوف يَنتج عن هذا لاحقاً أن مستوى معيناً من الشجاعة أصبح مطلوباً لتجاوز معايير النشاط الأخلاقي، السائد والقيام بـ (الفعل الصحيح) من خلال القيام بـ (الفعل الخطأ)، من باب المفارقة.

وبالنسبة لممارسي التعذيب في سيناريو القنبلة الموقوتة، فإن النهاية النبيلة للمواجهة مع الشرّ الأكبر تسمح للشرّ الأصغر بالظهور بمظهر الفعل الخيّر. إن الشرّ الصرف للشخص الشرير يبرر أي تجاوز يرتكبه الأشخاص المكرّسون لإيقافه. وهذا من أكثر الجوانب خطورة من الناحية الأخلاقية لسيناريو القنبلة الموقوتة، لأنه يمكّننا من مسامحة الشرطة على ارتكاب أي مخالفات مهما كانت خطيرة، شريطة أن يكون ذلك في خدمة الصالح العام. كما حذرت

(1) جريجوري شامايو، نظرية الدرون، مترجم: جانيت لويد، (لندن: بنجوين، 2015)، ص 102.

حنا آرنت مرة أخرى من أنّ «أولئك الذين يختارون الشرّ الأقلّ ينسون بسرعة كبيرة أنهم في الواقع اختاروا (الشر)»[1]. تسعى قصص سيناريو القنبلة الموقوتة إلى التقليل من اعتبار أن التعذيب (شرّ)؛ وتشبه بذلك ألعاب الخفة التي يتوقف فيها التعذيب عن الظهور بمظهر الخطأ تماماً.

تتجلى المساهمة الاستخباراتية التي ترويها هذه التجارب الفكرية والنتاج الثقافي المفيد في تبرير التعذيب في سيناريو القنبلة الموقوتة، في فكرة أن ثمة حالات لا يمكن تحقيق العدالة فيها من خلال اللجوء إلى الوسائل القانونية (لا يمكن للمرء في أي حال من الأحوال إقناع العربة بالتوقف، أو أن يطلب من القنبلة بلطف ألا تنفجر) ولا بدّ من البحث عن حل بديل قائم على استخدام العنف. إن المساهمة العاطفية لهذه النصوص تتمثل بالصواب الأخلاقي الذي تصل به هذه الرسالة. فمن خلال منح التعذيب طابع الفعل الوقائي المتعاطف أخلاقياً، يظهر التعذيب على أنه ليس مجرد فعل يستحق الدفاع عنه، بل هو فعل فاضل وبطولي أيضاً.

ايديولوجية رجل الشرطة

في فيلم الدراما الذي عرضه دون سيجل عام 1971 عن رجال الشرطة بعنوان (هاري القذر Dirty Harry)، يصاب رجل الشرطة الوغد هاري كالاهان بالإحباط بسبب اضطراره لاتباع

(1) آرنت، «المسؤولية الشخصية في ظل الديكتاتورية»، ص 36.

الوسائل القانونية لمكافحة الجريمة. بعد الفشل الذريع لمحاولاته القانونية الصارمة لهزيمة سكوربيو (شخصية الفيلم الشريرة المخيفة والوحشية، والمتهم بالقتل والخطف والاغتصاب والاغتيال)، يقوم هاري بحملة خارجة عن القانون لتحقيق العدالة بالأساليب العنيفة والانتقامية، ويعمل خارج القانون لمتابعة ما يقدّمه الفيلم على أنه عدالة أصيلة وحقيقية. ويرى نيكول رافتر ونيل كينغ أن فيلم هاري القذر هو مثال على الطرق التي يمكن أن تعمل بها النصوص الأدبية كشكل من أشكال علم الجريمة الرائجة، حيث تستكشف من خلال وسيلة سهلة المنال إلى أي مدى يمكن أن تخدم تدابيرُ الشرطة الخاطئة أخلاقياً الصالحَ العام[1]. إن الهدف من الفيلم بشكل عام هو تأكيد أن ممثلي العدالة الجنائية يحتاجون في بعض الأحيان إلى استخدام أساليب «قذرة» -الأساليب العنيفة والمضللة وغير الشريفة والمراوغة، أو الملوثة أخلاقياً- لتحقيق النهاية العادلة ومنع العنف الفظيع غير المحتمل وغير المتوقع الذي يرتكبه أشرار مثل سكوربيو، لأنها الوسيلة الوحيدة المناسبة لأداء هذه المهمة.

يقوم هاري بتعذيب سكوربيو بقسوة في منتصف الفيلم تقريباً على أمل أن يكشف له عن المكان الذي اغتصب فيه فتاة في الرابعة

(1) «الجريمة والسينما وعلم الجريمة: أفلام الجرائم الجنسية الأخيرة». علم الجريمة النظري، 11: 3 (2007)، ص 403-420:
http://dx.doi.org/10.1177/1362480607079584
نيل كينغ، «وصف هاري القذر بالكذاب: نقد استبدال نظريات علم الجريمة الشعبي».
مراجعة جديدة لدراسات السينما والتلفزيون، 11: 2 (2013)، ص 171-190:
http: // dx.doi.org/10.1080/17400309.2012.723964

عشرة من عمرها ثم سجنها. الوضع حساس جداً للوقت: فالفتاة محاصرة تحت الأرض، وبدأ الأوكسجين ينفد. بعد مطاردة عنيفة أطلق هاري النار على سكوربيو وضغط على الجرح بقدمه. وبعد التذلّل من أجل الحصول على محام، يكشف سكوربيو عن مكان الفتاة، لكن بعد فوات الأوان: إذ عُثِر عليها ميتة في مكان الحادث. ليست الفكرة من هذا السيناريو أن التعذيب يؤدي ببساطة إلى إنقاذ الفتاة، كما يدّعي أوي شتاينهوف، وبالتالي يمكن التغاضي عنه، لأن هذا ليس ما حدث في المشهد، على كل حال[1]. بل الفكرة هي لو أنهم كانوا أكثر صرامة مع سكوربيو منذ بدء التحقيق لما ماتت الفتاة. وكذلك في المشهد التالي، يَعْلم هاري من المدّعي العام وكبير القضاة أن إجراءات الشرطة كانت غير دستورية، وأن أياً من الأدلة التي جمعها أثناء بحثه غير القانوني لن تكون مقبولة في المحكمة. يشعر هاري صراحة في ثورة غضبه أنّ التوبيخ الذي تلقّاه من رؤسائه لأنه فعل الشيء الصحيح يدلّ على أن «القانون مجنون».

تنبع أهمية تأطير هذه المشكلة من وجود فرق بين إظهار أن الضرر لا مفر منه في بعض الأحيان، كما هو موضح في معضلة العربة، من ناحية، وطرح المسألة بطريقة يبدو فيها العنف بحدّ ذاته وسيلة عادلة في جوهرها، من ناحية ثانية. ويحذّر كارل كلوكارس، على سبيل المثال، من الجاذبية المغرية للوضع، إذ يرى أنه مصمَّم لإثارة الشعور غير المسؤول بالطمأنينة لدينا ولدى الجمهور، بما

(1) أوي شتاينهوف، «التعذيب – حالة هاري القذر وضد آلان ديرشوفيتز»، مجلة الفلسفة التطبيقية، 23: 3 (2006)، ص 342.

يوحي أن الحلول الأنيقة والعقلانية للمشاكل الفوضوية وغير القابلة للحل موجودة، ويسمح لنا بتجاهل الفكرة غير المريحة والمحبطة عن أن النهايات المأساوية لا يمكن تجنبها في بعض الأحيان[1]. أي أن طبيعة الاختيار تختلف بمهارة هنا: لم تعد المسألةُ مسألةَ الاختيار بين ضررين. بالنسبة لـ هاري، لا يوجد خيار بين فعلين سيئين، لأن إيذاء الأشرار ليس عملاً سيئاً. بالإضافة إلى أن فيلم (هاري القذر) يصور العنف، على حد تعبير تيموثي لينز، على أنه «حلّ مشروع لمشكلة الالتزام بالقانون لدرجة كبيرة، ويدافع عن العدالة والمنفعة الاجتماعية للعنف»[2]. ثمة ما هو مريح، ومضلل في الآن نفسه حيال الفكرة الرئيسية لفيلم هاري القذر، وهي أن الغضب وارتكاب العنف يمكن أن يحلّا المشاكل عندما تصبح معقدة للغاية، ومزعجة بالنسبة لإجراءات القانون العادية.

بناء على هذا المعيار المميز، يصبح النسيج العاطفي والفكري لفيلم (هاري القذر) جزءاً محورياً من تبرير سيناريو القنبلة الموقوتة للتعذيب. لا يبرز العنف هنا كأداة مناسبة لكونه فعّالاً وحسب، بل لأنه مبرر أخلاقياً أيضاً. إن أقصى حدود التهديد الذي استخدم العنف لوضع حدّ له، لا يمكن معالجته بأي وسيلة أخرى. وتعتمد قوة الحجة الجدلية لسيناريو القنبلة الموقوتة على الطريقة التي يتشرّب بها التعذيب حسّ الانتصار والعدالة الحقّة عند استخدامه ضد

(1) كلوكارس، «معضلة هاري القذر»، ص 47.

(2) تيموثي لينز، «النزعة المحافظة في أفلام الجريمة الأمريكية»، مجلة العدالة الجنائية والثقافة الشعبية، 12: 2 (2005)، ص 123.

المجرمين البغيضين أخلاقياً، الذين تستعصي جرائمهم على وسائل السيطرة القانونية التقليدية. تتسارع العربة نحو الحافلة المدرسية؛ ولا يمكن احتواء العنف المفرط المتطرف للمجرمين بواسطة البنية البيروقراطية للقانون؛ وتقترب القنبلة شيئاً فشيئاً من لحظة الصفر. في كل حالة من تلك الحالات، يظهر العنف على أنه السبيل الوحيد لمواجهة قوة مميتة لا يمكن السيطرة عليها أو إيقافها.

يتمتع عمل «هاري القذر» كونه عملاً ضخماً يتضمن أربعة أجزاء متممة واثنتي عشرة رواية جانبية[1]. وكانت جميعها مؤثرة ورائجة بشكل لا يصدق حين إصدارها بسبب تعليقها على القلق الاجتماعي التاريخي والسياسي المنتشر حيال ارتفاع معدلات الجريمة في أمريكا خلال فترة السبعينيات. هذا الامتياز والروايات الأخرى التي سأناقشها خلال بقية هذا الفصل والتي ترث المخاوف ذاتها، ترمز إلى سلالة معينة من الثقافة الشعبية المحافظة التي تؤكد عدم كفاية الوسائل القانونية غير العنيفة للتعامل مع أنواع معينة من الجرائم اللا أخلاقية، مثل الاتجار بالبشر والتحرش الجنسي بالأطفال، والإرهاب، والتي تمثل تهديدات سياسية وأخلاقية وإجرامية كذلك. وتوصف هذه التهديدات التي تستهدف الضحايا الضعفاء وتستغلهم، بأنها تنصاع بشكل خاص للوسائل العنيفة بدلاً من الانصياع للوسائل القانونية البحتة، لأنّ من الصعب غالباً مقاضاة الجرائم بكفاءة، ولأن العقوبات القانونية لا تعتبر قصاصاً

(1) ديبورا أليسون، «مفتش الاستدعاء كالاهان: مغامرات هاري القذر الجديدة»، فصلية الأدب والفيلم السينمائي، 44: 1 (2016)، ص 5-18.

كافياً، وأيضاً لأن المجرمين أنفسهم يظهرون على أنهم بغيضون وغير نادمين لدرجة أن العقوبة العنيفة هي في حد ذاتها شكل من أشكال العدالة التي تفوق تلك التي يحققها تطبيق القانون. من خلال تجسيد الإجرام على النحو الذي يطلق عليه ديفيد ستربيت اسم «العنف السادي الفوضوي التعسفي، لدرجة أنه يبدو غير منطقي ولا مفر منه وكأنه قوة من قوى الطبيعة»، فإن رواية «هاري القذر»[1] والنصوص التي تليها تلغي الطابع المسيّس عن أشكال الجريمة التي تستند إليها بشكل مفرط، وتظهر العنف كقوة طبيعية، وشكل من أشكال الطقس، والمناخ، أي كشيء لا يجب فهمه أو شرحه أو التعاطف معه وإنما مواجهته بكل بساطة وحزم.

إن تمثيل الجريمة على هذا النحو يجعل انتهاك القانون يبدو وكأنه شرّ ميتافيزيقي أساسي وفطري بلا مبررات أو أسباب، وحضور مرعب في المجتمع يحقق من خلاله الشرطي بطل الرواية العدالة الحقّة غير المسيّسة. إن الطبيعة غير المسيسة للشرّ في مثل هذه النصوص مهمة: إذ بمجرد فصل سيناريو القنبلة الموقوتة عن تعقيدات سياق العالم الواقعي الذي ينبثق منه، سوف تُحجب طبيعته كأداة بلاغية للبطل القوي. وفي ظروف الاستعمار، من الأسهل (والأكثر فعالية من الناحية السياسية) أن تواجه قوات الاستعمار البوليسية والعسكرية مقاومة عنيفة تعبّر عن الطبيعة

---

(1) ديفيد ستربيت، «الاختلاطات السيئة: هاري القذر، والشذوذ الاجتماعي، وإنجيل العقل السليم»، المجلة الفصلية للسينما والفيديو، 32: 4 (2015)، ص 405.
http://dx.doi.org/10.1080/10509208.2015.1012936

المظلمة وغير المتحضرة للشعوب الأصلية الهمجية، أكثر من الاعتراف بأن العنف المناهض للاستعمار قد يكون تعبيراً مشروعاً عن المعاناة من المظالم السياسية والاقتصادية التي تمارسها القوى الاستعمارية الاستغلالية. كما تجعل هذه التمثيلات الحلول العنيفة أكثر استساغةً، لأنها تُقدِّم العدو على أنه غير قادر على إيجاد حل وسطي معقول. تلك هي لغة القوة: من الأفضل تعذيب الأعداء وإجبارهم على الصمت بدلاً من محاولة فهم سبب وجود هذا العداء في المقام الأول.

تستمدّ هذه النصوص أيضاً الكثير من قوتها البلاغية والعاطفية من وضعها للقانون وحقوق الإنسان كعقبات في وجه العدالة، أو كاستجابات غير كافية ومعقدة للغاية للمشكلات التي يمكن حلها ببساطة وبشكل مباشر عبر استخدام القوة. رأينا في الفصل السابق كيف أن أدب الجاسوسية غالباً ما يجسد شخصيات أولئك المعارضين لممارسة التعذيب على أنهم أشخاص واهمون وأغبياء. وتجدر الإشارة هنا إلى أن روايات الجريمة المحافظة تميل إلى تمثيل شخصيات عملاء القانون وكأنهم ميسّرون للجريمة، مثل أولئك الذين يحمون الأشرار من قبضة العدالة. إن الجريمة والعدالة حقيقتان مطلقتان لهما سمات تاريخية أخلاقية محددة بوضوح، وتحتلان قطبين متعاكسين من طيف أخلاقي أحادي اللون: العنف المجنون المختل للفعل الإجرامي، يقابله العنف المتناسب والمعقول للعدالة الطبيعية. وينظر إلى القانون باعتباره سفسطائية بيروقراطية تُحبط هذه العدالة من خلال منح حماية غير مستحقة للأوغاد

الأشرار، وهذا بدوره يتطلب المزيد من التدخل العنيف من قبل البطل الحارس الخارج عن القانون. وإن بدا هذا الوصف بسيطاً، فهذا لأنني بالغت في تبسيط مخاوف سيناريو القنبلة الموقوتة من جهة، ولأنه يعبر بالفعل عن أحكام أخلاقية صارمة بشكل خطير من جهة ثانية.

احتفظت معضلة «هاري القذر» بقيمتها بين المفردات المفاهيمية للخيال الإجرامي الشعبي بسبب مرونة مجموعة السيناريوهات التي تبدو قابلة للتحول إلى حلول مماثلة. في دراما بوليسية أمريكية طويلة بعنوان (إن واي بي دي بلو NYPD Blue)، على سبيل المثال، يواجه المشتبه به، والمخبرون الجنائيون، والشهود المشبوهون على حدّ سواء أوقاتاً صعبة عادة أثناء الاستجواب. وهناك حلقتان محددتان لهما أهمية خاصة. في الموسم الخامس، الحلقة الثانية والعشرون، «شهر العسل في شلالات الفياجرا Honeymoon at Viagra Falls»، على سبيل المثال، تُجسِّد معضلة هاري القذر: حيث يَختطف متحرّشٌ بالأطفال فتاةً صغيرة، ويرفض الكشف عن موقعها. عندما فشل الاستجواب القوي من قبل ضابطتين، وصفعتان على وجه المجرم من قبل إحداهما، في إجباره على الامتثال، اقتحم ضابط ذكر غرفة التحقيق، ورفع أكمامه، ونزع خاتمه وساعته، وخطا نحو السجين. إن التهديد المؤكد للعنف الجسدي الذي يمثله هذا الأسلوب من المقاربة يخيف الخاطف على الفور ويجبره على الكشف عن مكان ضحيته. ولكن على عكس أحداث (هاري القذر) المأساوية، في هذه الحلقة

من إن واي بي دي بلو ينجح رجال الشرطة في العثور على الضحية على قيد الحياة دون أن تصاب بأذى، مما يعزز القيمة الحمائية للعنف بكل جرأة. وفي الحلقة العاشرة من (الموسم الحادي عشر، «You Da Bomb»)، يختطف رجال العصابات الروس رجلاً بريئاً ويجبرونه على دخول مقر الشرطة مرتدياً سترة ناسفة لإجبارهم على الإفراج عن زعيمهم الذي ألقي القبض عليه في مسار التحقيق في جريمة قتل. يتقدم حامل القنبلة مقيد اليدين إلى ضابطة شرطة (سيدة حامل)، والقنبلة مجهزة للانفجار في غضون ساعة واحدة. يشكّل الإكراه والقوة جزءاً من حل المشكلة منذ البداية. المحقق سيبوفيتش، الذي تتعرض زوجته للخطر، يضرب رئيس العصابة في مشهدين، وفي كلتا الحالتين يجبره على تغيير روايته، ويقترب أكثر من الحقيقة. كما يقوم شريكه أيضاً بتهديد مدمن مخدرات مدينٍ لأرباب المخدرات الروس، ويجمع معلومات أساسية في هذه العملية. تتمكن الشرطة في النهاية من إجبار رئيس العصابات الروسية على إلغاء الهجوم من خلال التهديد بربط ابنه إلى القنبلة. بالمقارنة مع أساليب الشرطة العادية، يظهر العنف كوسيلة رئيسية للحصول على المعلومات عندما تكون الحاجة ملحّة والوقت قصير.

كتب كل من إشولز ومولارد وفلين إن «الاستخدام العرضي لانتهاكات الحقوق المدنية [في مسلسل إن واي بي دي بلو NYPD Blue] دون وقوع أي ضرر، قد يدفع المشاهدين إلى الاعتقاد بأن هذه هي الطريقة التي يجب أن ينفّذ بها عمل الشرطة، وأن هذه

السلوكيات والتكتيكات لها ما يبررها إذا أدت بالنتيجة إلى «القبض على الأشرار» ومعاقبتهم[1]. ويمثل هذا تطبيع نموذج العدالة وفق (هاري القذر). في مسلسل (إن واي بي دي بلو NYPD Blue) كل شرطي هو كالاهان: وكالاهان هذا متعهد مارق، يستخدم رجال شرطة في منطقة 15 الخيالية في نيويورك تكتيكاته الخشنة بشكل روتيني. ومع ذلك، هناك عنصر رئيسي في معضلة هاري القذر مفقود من (إن واي بي دي بلو NYPD Blue). تعذيب هاري لا ينقذ الفتاة من مصيرها المأساوي. على هذا النحو، تسمح هذه اللحظة في الفيلم للجمهور بالتساؤل عما إذا كانت أفعال هاري مجدية في سياق عمل الشرطة القانوني مهما كانت دوافعه صحيحة. وبينما يُظهر الفيلم في نهاية المطاف أن العنف غير القانوني يحمل في طياته حلاً للمشكلة الأخلاقية والسياسية والإجرامية التي يمثلها سكوربيو، فثمة لحظات في الفيلم تسمح للجمهور بالتساؤل عن جدوى الأمر من أكثر من منظور. لكن هذا الدافع الحرج مفقود من حلقات سيناريو القنبلة الموقوتة إن (واي بي دي بلو)، ونتيجة لذلك، فإنها تظهر الإكراه كتكتيك فعّال، وكأسلوب يتطلب الشجاعة والبطولة في حياة رجال الشرطة اليومية. وغالباً ما تبدو حياة رجال الشرطة وعلاقاتهم طوال المسلسل مليئة بالتعقيدات العاطفية، لذا فهم ليسوا ذئاباً وحيدة أو منبوذة مثل كالاهان: إنهم

---

(1) سارة إيشهولز وماثيو مالارد وستايسي فلين، صور من السلسلة التلفزيونية Prime Time Justice: تحليل محتوى مسلسل «إن واي بي دي بلو» ومسلسل «القانون والنظام»، مجلة العدالة الجنائية والثقافة الشعبية، 10: 3 (2004)، ص 173.

أناس عاديون، لديهم الشجاعة للقيام بما هو ضروري لأنهم يحبون مدينتهم ومجتمعاتهم وعائلاتهم.

جاك باور، بطل المسلسل التلفزيوني (24)، يحتفى بشخصية جاك على أنه «هاري القذر في عصر الإرهاب»، بسبب الطريقة التي يجسّد بها فرضية هاري المحورية- كلما كان الشرطي أكثر صرامة، كان العدل أكثر فعالية[1]. في الحلقة الأولى من الموسم السابع، يشرح جاك في جلسة استماع في مجلس الشيوخ إنّ تعذيبه للإرهابي المسمى إبراهيم حداد كان مبرَّراً، لأن الأخير كان يهدد بتدمير حافلة تقلّ خمسة وأربعين شخصاً، من بينهم عشرة أطفال (يشبه هذا في الأساس الموقف نفسه الذي يحدث في ذروة «هاري القذر»، حيث يُقتَل كالاهان سكوربيو بعد أن يستولي على حافلة مدرسية؛ فهناك استخدام متكرر لصورة حافلة المدرسة باعتبارها وسيلة نقل ذات قيمة خاصة).

وبقصد تبرير أفعاله، يصف جاك التعذيب بأنه «ما اعتبرته ضرورياً لحماية الأرواح البريئة». أي أن خبرة جاك كعميل سري في قسم مكافحة الإرهاب تمنحه البصيرة والمهارة، والأهم من ذلك، المصداقية الأخلاقية لإثبات أنه هو من يعرف التصرف المناسب في حالات الطوارئ، وليس أولئك العملاء الملتزمون بالقوانين، الذين يستجوبونه في جلسة استماع مجلس الشيوخ. وهذا شبيه

(1) لوري بيرد، «جاك باور هو هاري القذر في عصر الإرهاب»، في جاك باور للرئاسة: الإرهاب والسياسة في مسلسل (24)، محرران. ريتشارد مينتر وليا ويلسون (دالاس: بنبيلا، 2008)، ص 74.

بالغنوصية القتالية التي وجدناها في نصوص جان لارتيجوي. أولئك الذين وضعوا حياتهم على المحك -أولئك الذين قدموا تضحيات كبيرة، وعانوا من أجل حماية حضاراتهم- يتمتعون برؤية مميزة لطبيعة الصراع، وهم نتيجة لذلك الوحيدون الذين يعرفون حقاً الأسلوب الضروري، وهم الوحيدون الذين لديهم الشجاعة لمواجهة الشرّ وفعل الصواب.

هذا الاستعداد للقيام بالشيء الصحيح من أجل الصالح العام، مهما كان دموياً ومخزياً في حد ذاته، يعدّ عنصراً محورياً في سيناريو القنبلة الموقوتة الذي يكرر عدة مرات عبر المواسم العشرة من المسلسل التلفزيوني (24). بالإضافة إلى الأمثلة التي سبق ذكرها، يمكن الأخذ بعين الاعتبار عمليات الإعدام الوهمية التي ظهرت في الموسم الثاني، حيث تنكسر عزيمة الإرهابي عندما يظهر له بث حي مزيف لعملية إعدام أفراد عائلته، أو المشهد في الموسم السادس الذي يقوم فيه جاك باور بقطع أصابع دبلوماسي روسي بواسطة مقص السيجار من أجل الحصول على المعلومات، وكذلك المشهد في الموسم الرابع حيث يكسر جاك أصابع الرجل لإجباره على الكلام، وهذه مجرد ثلاثة أمثلة حية من العديد من الأمثلة المتاحة في ذلك المسلسل[1]. يحظى مشهد الاستجواب تحت التعذيب الأخير بتبرير صريح من قبل الشخصيات من خلال العبارات التالية:

---

(1) 24: الموسم الثاني، الحلقة الثانية عشر (2002)، اخراج فريدريك ك.كيلر، الموسم الرابع، الحلقة الثامنة عشر، إخراج إيان تويتتون، الموسم السادس، الحلقة الثانية عشر (2007)، إخراج تيم إياكوفانو.

مايك نوفيك: هل أنا على صواب حين افترض أن هذا المشتبه فيه لن يجيب على الأرجح على نمط الأسئلة والأجابات التي يسمح محاميه بطرحها عليه؟

جاك باور: هذا صحيح، مايك. إذا أردنا الحصول على أي معلومات من هذا المشبوه، فسوف يتعين علينا القيام بذلك خلف أبواب موصدة.

الرئيس تشارلز لوغان: هل تتحدث عن تعذيب هذا الرجل؟

باور: بل أتحدث عن فعل ما هو ضروري لوقف استخدام هذا الرأس الحربي ضدنا.

لا يقتصر الأمر على إبراز التعذيب كوسيلة فعالة روتينية، بل على أنه يتطلب صلابة وعزيمة وخبرة عميقة لا نجدها إلا بين الوطنيين الذين يتمتعون بشخصية قوية وحازمة. بعد تحديد التعذيب على أنه ضروري لمكافحة الشرّ الشيطاني الذي ينشره الإرهابي، يجب أن يتمتع البطل بالجرأة والشجاعة والبطولة للتمكن من القيام بذلك فعلياً.

العدالة المظلمة

إن طبيعة العدالة ومعناها، والشجاعة المطلوبة لتفعيل العدالة في العالم، هي مواضيع سائدة في روايات الكتب المصورة والعديد من الامتيازات الرائجة للاقتباسات السينمائية والتلفزيونية القائمة عليها. كتبت كاساندرا شارب: على سبيل المثال، أن روايات الكتاب

المصوّرة التي تتحدث عن الأبطال الخارقين هي طرق فعالة بشكل خاص «لطرح أسئلة حول ما نعتقد أنه تعريف» للعدالة «في الواقع، والعلاقة بين العدالة والقانون»[1]. فالاستعارات الجريئة وأنماط القصة الدرامية والحيوية والطريقة التي تعمد إليها أفكارهم لتوسيع معايير الإمكانية، تسمح لروايات الكتب المصوّرة باستكشاف المفاهيم بطريقة لا تقيّدها متطلباتُ الواقعية أو الحرفية، ويمكنها، بناءً على ذلك، دراسة الأفكار السياسية والأخلاقية التي تتمتع بقوة جمالية ملحوظة. هناك تاريخ طويل من روايات الأبطال الحرّاس المخالفين للأعراف في الكتب المصوّرة، وتشدّد جميعها على فكرة أنّ العدالة الطبيعية أكثر شرعية من العدالة القانونية، وأن الدولة والقانون والشرطة لا يمكنهم تطبيق العدالة الحقيقية كاملةً، وهذا يعني بالنتيجة أن الأبطال الخارقين يمكنهم إكمال العدالة بشكل استباقي وتعزيزها[2]. غالباً ما تفترض البطولات الحقّة في مكافحة الجريمة في نصوص الكتب المصورة أن يحمل البطل طابع العدالة الريادية والشخصية والفردية. يتصدى الفرد الراديكالي الذي يتمتع

(1) كاساندرا شارب، «حلّ لي هذا اللغز: هل سيحتاج العالم إلى أبطال خارقين إذا كان القانون سيحقق «العدالة» بالفعل؟» ثقافة النص القانوني، 16، 1 (2012)، ص 354. عبر الإنترنت:

http://ro.uow.edu.au/ltc/vol16/issl/15

(2) جيسون بينبريدج، «هذه السلطة. هذا الكوكب تحت حمايتنا- تفسير لاستجوابات الأبطال للقانون»، القانون والثقافة والعلوم الإنسانية، 3 (2007)، ص 455-476، عبر الانترنت:

http://dx.doi. org/10.1177/1743872107081431

بمواهب استثنائية، للتحديات غير العادية المتمثلة في حماية العالم من الشر، والتي غالباً ما تُجسّد ببراعة على أنها تهديد كوني.

كثيرا ما تروي الكتب المصورة سيناريوهات معضلة هاري القذر، وتسلط الضوء بشكل متكرر على «تبرير العنف استناداً إلى الأزمة: أصبحت الفوضى خارج السيطرة لدرجة أن بطل الرواية مضطر للجوء إلى حلول عنيفة خارج إطار القانون»[1]. تَظهر الجريمة على أنها سيل ساحق من الشر الانتقامي غير المسيّس الذي يترك إنفاذ القانون التقليدي ضعيفاً، ويظهر عنف البطل الحارس باعتباره الحل الحقيقي الوحيد، والطريقة الوحيدة المجدية في مواجهة التحدي، وأنه السبيل لتحقيق انتصار دائم وحاسم. والأهم من ذلك، وبما أن بطل الكتاب المصور ليس ممثلاً رسمياً للدولة، فيمكن لهذه القصص المصورة منح البطل منصب الشخص المختار الذي ينهض من صفوف الناس العاديين، الأقلية المقاومة، ويقاتل بشراسة نيابة عن القلة البريئة المحاصرة. على سبيل المثال، في الكتاب الثاني لـ فرانك ميللر رواية باتمان المصورة (عودة فارس الظلام)، عمدت لانا لاند محررة صحيفة متروبوليس ديلي بلانيت، إلى الوقوف لصالح العدالة الحامية التي يجسدها باتمان.

---

(1) نيكي فيليبس وستاسي ستروبل، «علم الإجرام الثقافي والكريبتونايت: البناء المروع الوحشي للجريمة والعدالة في الكتب المصورة»، الجريمة والإعلام والثقافة، 2، 3 (2006)، ص 320:

http: //dx.doi. ORG / 10.1177 / 1741659006069573

نحن نعيش في ظل الجريمة، تيد، مع اتفاق غير معلن على أننا ضحايا الخوف والعنف والعجز الاجتماعي. لقد عاد الرجل كي يذكّرنا بأنّ القوّة كانت ولا تزال في أيدينا. نحن تحت الحصار - لكنه يظهر لنا أن بإمكاننا المقاومة[1].

في هذه الرواية المصورة، تقع متروبوليس في قبضة موجة عارمة من الجرائم التي لا تستطيع سلطات إنفاذ القانون التعامل معها. حيث تقوم عصابة المسوخ Mutant Gang بإثارة الرعب في المدينة، وتمارس السطو والاغتصاب والقتل والنهب كما تشاء، وتمثل حملة البطل الحارس باتمان العنيفة ضد هؤلاء المجرمين الأوغاد شكلاً فعالاً من أشكال المقاومة الوحشية. يحتاج سيناريو القنبلة الموقوتة إلى احتواء فكرة المقاومة البطولية هذه من أجل أن تكون أخلاقيات العمل القذر الشجاع منطقية: يجب إظهار الشر في العالم على أنه ساحق ووحشي ومرعب، ويجب إظهار التعذيب كعمل ضروري، وضرره تافه بالمقارنة مع سلسلة الشر المرعبة التي يتم يستخدم التعذيب لمواجهتها. ولهذا أهمية سياسية على وجه الخصوص: تاريخياً، نشر سيناريو القنبلة الموقوتة من قبل الأقوياء خدمةً لأيديولوجيات الحروب الاستعمارية القمعية. إن مفهوم التعذيب كفعلٍ مقاوم للشر يحجب الديناميكيات التاريخية التي انبثق منها سيناريو القنبلة الموقوتة، ويحرف النقاش لصالح

(1) فرانك ميللر، مع كلاوس جانسون ولين فارلي. عودة فارس الظلام، الطبعة المجمّعة، (لندن: تيتان كتب، 2002 [1986])، الكتاب الثاني، ص 9.

التعذيب من خلال مواءمته مع حماية العزّل مما يسمح له باكتساب الشرعية الأخلاقية.

تستكشف رواية ميلر المصورة معنى العدالة الحارسة بناء على مجموعة من وجهات النظر، ولكن هذا التفسير للبطولة الانتقامية التي يتمتع بها باتمان له أهميته المميزة في النص بسبب موقعها في القصة. فهي تسبق مشهد التعذيب الذي تظهر فيه فعالية أساليب باتمان العنيفة، كما أنها تضع حداً للفصل الذي تناقش فيه الشخصيات شرعية وأخلاق البطولة الانتقامية[1]. إن منظور التابلويد الرجعي الذي ذكَرَتْهُ لانا لاند هو الكلمة الفصل في هذا الموضوع، وقد ثبتت جدوى التكتيكات المعنية صراحة من خلال استجواب باتمان الوحشي في المشهد التالي. في عمل لاحق لـ ميلر بعنوان (الرعب المقدس) يستكشف أيضاً شرعية استخدام القوة، لكن هذه المرة في سياق مكافحة الإرهاب. يقوم المصلح وشريكته، اللصة القطة ناتالي ستاك (صور رمزية مستترة لـ باتمان وكات ومان) بتعذيب إرهابي من تنظيم القاعدة في سيناريو يشبه سيناريو القنبلة الموقوتة، حيث يعلقانه من معصميه وكاحليه، ويقفان على ظهره إلى أن يجبره الألم على الاعتراف[2]. يظهر هذان النموذجان من أعمال ميلر المصورة أن الحضارة نفسها تخضع لتهديد خطر شديد ومدمر، كما

(1) أنظر أيضاً «عودة فارس الظلام»، الكتاب الأول، ص 33-34 لمزيد من مشهد التعذيب. انظر أيضاً باتمان: عودة فارس الظلام، الجزء الأول (2012)، إخراج جاي أوليفا.

(2) فرانك ميللر، الرعب المقدس، (نيويورك: ليجندري كوميكس، 2011)، ص 75.

أنهما يجدان الحلول عبر أعمال التعذيب القذرة التي يرتكبها أفراد يعملون لحسابهم الخاص بالشكل الذي يتمم العنف الذي يمارسه القانون في سعيهم لمقاومة الشر.

سلسلة باتمان لـ كريستوفر نولان (ثلاثية فارس الظلام) تهتم في مواضيعها بالمشكلات المستعصية والقرارات المستحيلة وسيناريوهات الخسارة. والأهم من ذلك، أن نموذج البطولة المظلمة الذي وصفتُه في هذا الفصل لا يزال مهيمناً فلسفياً في تلك الثلاثية. في الجزء الأول من السلسلة، بداية باتمان يصف بروس واين حملته لتطبيق العدالة الخارجة عن القانون بأنها وسيلة «لاستخدام هذا الوحش لمساعدة الآخرين»، على سبيل المثال. يعلم واين أن شخصيته البديلة (باتمان) هي تجسيد مرعب للظلام والخوف، ويرى أن بالإمكان تسخير هذه القوة الشريرة في السعي لتحقيق النوايا الحسنة أخلاقياً. يعذّب باتمان خصومه للحصول على معلومات في عدة مناسبات على امتداد الثلاثية. في الفيلم الأول، يقبض باتمان على رجل شرطة يعمل أيضاً كعميل مأجور لدى الأشرار، ويجبره عبر التعذيب على الكشف عن معلومات حول منظمة تهريب المخدرات التي يحقق بشأنها باتمان. ولاحقاً، يستجوب باتمان شخصية الفزّاعة الشرير بإخضاعه لتأثير «السمّ المُسبب للذعر» الذي استخدمه هذا الأخير لتلقين وترويع ضحاياه؛ إن الرعب الناجم عن دواء الأعصاب يجبر الفزّاعة على الكشف عن هوية الخصم الرئيسي في الفيلم رأس الغول. وفي فيلم (فارس الظلام)، يكسر باتمان كاحلي رئيس العصابة من أجل الحصول على معلومات حول علاقته مع جوكر. لكنّ الثلث الختامي

من الفيلم الأخير، (نهوض فارس الظلام)، يؤطر سيناريو القنبلة الموقوتة النموذجي: يمتلك (باين) قنبلة نيوترونية متنقلة وخفيّة يمكنها تدمير كامل مدينة جوثام، ويحتجز شرطة المدينة كرهائن بعد أن يطلق سراح ألف مجرم من السجن من أجل إعادة القوة للشعب حسب زعمه. عندما قام باتمان بتحديد موقع باين في نهاية المطاف، ضربه بلا رحمة إلى أن تأتي المرأة التي يدافع عنها، ابنة رأس الغول، وتقدم حواراً توضيحياً ينقل الفيلم إلى نهايته. كان التعذيب في نسختي ميلر ونولان عن باتمان، يوضح الطرق التي تجسد بها الشخصية نموذج معضلة هاري القذر الخاص بالبطولة المظلمة. وبالتالي يتمتع باتمان بالشجاعة اللازمة لتجاهل المعايير الأخلاقية المتعارف عليها، واستبدال النماذج القانونية للعدالة، والقيام بالعمل القذر الذي يحافظ على عالمه آمناً.

معضلة التعذيب لدى مارفل

أكثر من أي شيء آخر، كان الشاغل الفلسفي الرئيسي لعالم مارفل السينمائي (MCU) هو العلاقة المعقدة بين السلطة والقوة والعدالة. لقد برزت أفلام مارفل بسبب نجاح نموذجها «العسكري - الترفيهي» الذي يضفي الطابع الرومنسي على الأبطال الذين ينجحون في حل المشاكل السياسية من خلال العنف المطرد[1].

---

(1) «تسويق أبطال مارفل السينمائيين من خلال العسكرة»، التيار: الثقافة/ السياسة/ التكنولوجيا، 8، 2 (2016)، ص 23-35:

journals.sfu.ca/stream/ index.php/stream/article/download/200/178/

يستخدم الأبطال في جميع إنتاجات مارفل المتزايدة، العنف باستمرار لتحقيق غايات مبررة. تظهر الأحداث المتتالية في فيلم (أيرون مان Iron Man 2) على سبيل المثال، قصاصات صحفية تبين دور أيرون مان في حل مشاكل دولية، بما فيها استقرار العلاقات بين الشرق والغرب. نظراً لأن قوة البطل توني ستارك الخاصة تتمثل في صناعة أسلحة متطورة للغاية (واضح من لقب أيرون مان أو الرجل الحديدي أن ستارك يرتدي بدلة روبوتية تمنحه قدرات استثنائية، مثل الطيران، والمناعة ضد الأضرار، والقوة الفائقة، وما إلى ذلك)، فإن من غير الممكن تحقيق هذا الاستقرار الجيوسياسي إلا من خلال ممارسة الخصائص العلاجية والتطهيرية للقوة النارية المبيدة. ولكن صحيح أن أفلام (أيرون مان) و(المنتقمون Avengers) تسمح لستارك بالتأمل في أخلاقيات استخدام القوة النارية لضمان السلام، حيث يضطر مراراً وتكراراً إلى مواجهة الدور غير المريح الذي لعبَتْه شركته في تصنيع الأسلحة التي قد تحدث دماراً عالمياً. كما أنها تُظهر الطبيعة ذات الحدين لتكنولوجيا الأمان، حيث غالباً ما تبدو تكنولوجيا أسلحة ستارك مرعبة عند وضعها بين أيدي الأشخاص الخطأ، كما هو الحال في فيلم (أيرون مان 2)، أو عندما تخرج عن نطاق السيطرة، كما في فيلم المنتقمون: (عصر ألترون Avengers: Age of Ultron). ومع ذلك، في نهاية المطاف، لا تشكك هذه الأفلام في المنفعة السياسية للقوة العسكرية غير المقيدة.

يتكرر ظهور التعذيب في عالم مارفل السينمائي MCU الحديث. في مشهد سريع في (ديدبول Dead pool)، يقوم البطل - وهو جندي

سابق في البحرية - بممارسة طريقته في التعذيب على مجموعة من الأتباع المخلصين لخصمه أياكس لإجبارهم على الاعتراف بمكانه. ضربةً إثر ضربة، واستجواباً إثر استجواب، وبعد الكثير من التعذيب، يجمع تدريجياً سلسلة أدلّة متّصلة تتجه به مباشرة إلى وجهته المقصودة: الانتقام. ويعرض فيلم (كابتن امريكا: جندي الشتاء) مشهد استجواب مشترك يجريه الأبطال الخارقون كابتن أمريكا وبلاك ويدو وفالكون، ويجبرون المصدر على الكشف عن المعلومات التي يحتاجونها لتحديد موقع خصومهم وهزيمتهم. من المثير للاهتمام أن جزءاً من هذا المشهد له طابع كوميدي، حيث يتحدث كابتن أمريكا وبلاك ويدو بلا مبالاة عن إيجاد شريك رومنسي لـ كابتن أمريكا بمجرد الانتهاء من رمي مصدرهم من أعلى مبنى مرتفع؛ لكن فالكون (الذي يستطيع الطيران) يستردّه، وقد أصابه الهلع، ويستأنف الاستجواب. هذا مشهد إعدام وهمي يمثّل من أجل الضحك في فيلم عائلي ضخم. «في بعض الأحيان لا بدّ من الوحشية لإنجاز الأمور»، يعلق لوك كيج في السلسلة الثانية من المسلسل التي تحمل اسمه[1]. يوجّه لوك لكماته المتكررة إلى مجرم يدعى تورك من أجل الحصول على معلومات، خاصةً في الموسم الأول، الحلقة الثانية عشرة من (لوك كيج) أو (الموسم الأول)، الحلقة الثانية من المسلسل القصير (المدافعون The Defenders). وفي مثال أكثر وضوحاً، تعرض سلسلة نيتفليكس التلفزيونية

(1) لوك كيج، الموسم الثاني، الحلقة الثالثة: الحماس (2018)، إخراج مارك جوبست.

(المعاقِب The Punisher) مشاهد لبطل الرواية اليقظ فرانك كاسل (الذي فاز بلقبه «المعاقِب» بسبب حملاته المسلحة العنيفة ضد الجريمة) حيث يقوم بانتزاع المعلومات من أعدائه في الحلقة الثانية من الموسم الأول، أو الحلقتين الخامسة والسابعة من الموسم الثاني، ويتعرض كاسل نفسه لتعذيب شديد في الحلقة الثانية عشرة من الموسم الأول.

والمعاقب شخصية مثيرة للاهتمام بشكل خاص. ففي فيلم سينمائي أنتج عام 2004 مقتبس عن قصة له، يصف كاسل موقفه الفلسفي حيال العنف الانتقامي بوضوح قائلاً: «في بعض الحالات الاستثنائية، يكون القانون قاصراً، ولا بد من التصرف خارج نطاق القانون لتدارك هذا القصور وتحقيق العدالة الطبيعية». لا يعرض هذا الفيلم مشاهد التعذيب، لكنه يضع تفسيراً فلسفياً واضحاً، وغير تقليدي، لشرعية استخدام العنف ضمن سيناريو الانتقام المشحون عاطفياً بشكل مذهل. في الواقع، وُصِف المعاقب بأنه «استعارة بصرية لشخص غاضب خارج عن القانون لا يهدأ غضبه إلا بتحقيق رغبة عارمة في الانتقام»، وهو تجسيد عدمي ونهائي للبطولة الانتقامية المحافظة التي تعتبر «القانون مجرد عقبة في طريقها»[1]. وهكذا يُعطى الإجرام طابع الشر الشنيع الصريح، وتصبح ممارسة العنف خارج نطاق القانون نوعاً من أنواع العدالة

(1) كينت ووستر، «المعاقب وسياسة العدالة الجزائية»، ثقافة النص القانوني، 16: 1 (2012)، ص 332-349:

http://ro.uow.edu.au/ltc/vol16/issl/14

الخيّرة البطولية. ومن الجدير بالذكر أن المعاقب هو الشخصية المفضلة لدى الكثير من العاملين في القوات المسلحة الأمريكية إلى جانب شخصية الملك ليونيداس في فيلم زاك سنايدر عن رواية فرانك ميلر 300.

في مذكراته (القناص الأمريكي)[1]، يصف كريس كايل بإعجاب شخصية المعاقِب بأنها «شخصية قاسية للغاية»، ويشير إلى أنّ أفراد فصيلته في العراق أطلقوا على أنفسهم لقب «المعاقِبون»:

اعتقدنا جميعاً أن ما فعله المعاقِب كان رائعاً: لقد صحّح الأخطاء. وقتل الأشرار. وأثار الرهبة في نفوس الأوغاد.

وهذا بالضبط ما نسعى إليه جميعنا. [...] أردنا أن يعرف الناس، أننا هنا وأنهم سينالون منا عقاباً شديداً. [...] عليكم أن تشعروا بالخوف منا. لأننا سنقتلكم، أيها السفلة[2].

مثل المظليين في رواية (لارتيجوي)، فإن عمل فرانك كاسل لشركة مارفل هو صورة رومانسية للصراع يستكشف فيها (بعض) المقاتلين تجاربهم. وفي استخدام آخر، ربما أكثر شرّاً، للاسم، اكتسب الرئيس الفلبيني دوتيرتي لقب «المعاقِب» بسبب استغلاله المتشدّد والمستبِدّ للقانون والنظام. ولكن مهما كان المعاقِب مثيراً للاهتمام،

---

(1) ميتشل زوكوف، 13 ساعة: التقرير الداخلي لما حدث حقاً في بنغازي، (لندن: ايبيري برس، 2015) ص 71.

(2) كريس كايل، سكوت مكوين وجيم ديفيس، القناص الأمريكي: السيرة الذاتية للقناص الأكثر فتكاً في التاريخ العسكري الأمريكي، (نيويورك: هاربر كولينز، 2012)، ص 263. التوكيد مضاف في الأصل.

فهذا ليس المكان المناسب لدراسته بعمق، لأن سيناريو القنبلة الموقوتة يمكن تمييزه بسهولة عن هذه الفئة الأوسع من قصص الانتقام البطولية بسبب ما فيها من استعجال وقائي: بدلاً من ممارسة التعذيب بهدف الانتقام من الجرم المرتكب أساساً، فإن سيناريو القنبلة الموقوتة ينبع من القلق الناجم عن قرب وقوع الجرائم التي يمكن وقفها.

ربما يكون المثال الأكثر استدامة للتعذيب في سيناريو القنابل الموقوتة في عالم مارفل العالمية، هو سلسلة نيتفليكس التلفزيونية بعنوان (دير ديفيل Daredevil). إن اليأس من قيام مؤسسات القانون بتصحيح الظلم الواقع، والقلق الناجم عن الاحتمال القائم لوقوع الجريمة، واستصواب العنف -الإحداثيات العاطفية لمعضلة هاري القذر- يعد أمراً أساسياً في هذه السلسلة. إذ تكمن الحبكة الأساسية في ديرديفيل في الدور المزدوج للشخصية المحورية. يعمل (مات مردوك) في النهار كمحامٍ، ويعمل في الليل بطلاً حارساً، مما يسمح للمسلسل بالتقدم واستكشاف التضارب بين الطرق القانونية وغير القانونية للعدالة. وجراء الإحباط الروتيني لمحاولاته القانونية لمكافحة الجريمة، يستخدم موردوك العنف ليلاً بطريقة تظهر تأثيراً حاسماً ومباشراً ضد الإجرام. ويذكر في الحلقة العاشرة من الموسم الأول أنّ «القانون لا يكفي في بعض الأحيان». هذا التعارض بين القدرات الخاصة لكل من الوسائل القانونية والوسائل غير القانونية لتحقيق العدالة الحقيقية، هو الموضوع الرئيسي الذي يستكشف طوال الموسم الأول من المسلسل. ويوضح في الحلقة الثالثة عشرة

من (الموسم الأول) أن حملته العنيفة هي «الجزء الذي يلتقي فيه القانون بالواقع». الواقع يتجاوز القانون ولا يمكن السيطرة عليه من خلاله -والعنف معادل «للواقع» ويصبح شرعياً عندما يكون القانون مغيَّباً أو معطَّلاً، أو ببساطة غير كافٍ. يخضع ديرديفيل أعداءه للتعذيب دائماً سواء كانوا تجار مخدرات أو متاجرين بالبشر أو محامين فاسدين ومبتزين أو عصابات، وذلك في الحلقات الثانية والثالثة والخامسة والسادسة والتاسعة والحادية عشرة من (الموسم الأول) والحلقات الأولى والرابعة من (الموسم الثاني) والحلقات الثالثة والسابعة والثالثة عشرة من (الموسم الثالث)، ولطالما ساعده انتزاع المعلومات منهم في تطور مجريات الأحداث ونجاح حملته ضد الجريمة. وفي الحلقة الخامسة من المسلسل القصير (المدافعون)، يشكّل ديرديفيل فريقاً مع شخصيات شركة مارفل الأخرى مثل جيسيكا جونز ولوك كيج، وأيرون فيست (القبضة الحديدية)، مما يجبر حتى شخصية الشرير الخارق على تقديم إجابات مباشرة على الأسئلة عندما يخنقه موردوك. من المؤكد أن الشيطان يقدم معلومات لا يريد موردوك سماعها، ولكن مع ذلك، فإن قبضة موردوك على عنقه هي ما يجعله يعترف بمعلومات ذات قيمة.

في حين أن القصص التي تروى في فيلم (المعاقِب) تتصف بالطابع الغاضب الرتيب لبطلها، فإن إصدارات فيلم (ديرديفيل) تتميز بنبرة أكثر تعقيداً، حزينة وقلقة في الوقت نفسه، وتقلّل من شأن المأساة وتلبّي المطالب الأخلاقية للبطولة الحارسة الوقائية. وقد كتبت بيترا كوبرز في نقاش حول الاقتباس السينمائي من الروايات

المصورة عام 2003، أن فيلم (ديرديفيل) مشبع بـ «أخلاقيات عالية وإن كانت طفولية تفرِّق بين الأسود والأبيض»، و«شكل من الاستشهاد الشبيه بالمسيح. ديرديفيل هو فتى كاثوليكي صالح، والخطيئة والتقوى تؤطران السرد»[1].

إن إلهام ديرديفيل لفعل الخير ديني في أساسه. وتظهر كاثوليكيته كدافع قوي لالتزامه بالعدالة. ويمنح هذا لمسلسل (نيتفليكس) التلفزيوني حجّةً لاستغلال إحجام موردوك (المحامي) عن القتل في غضون سعيه لتحقيق العدالة. ويلاحظ تشيس ماغنيت، أن هذه المخاوف الفلسفية حول أخلاقية القتل لا تصنع مشهداً درامياً إلا إذا كان عنف ديرديفيل الآخر مقبولاً أخلاقياً، أي «إذا قبل الجمهور التعذيبَ كعمل له ما يبرّره أخلاقياً»[2]. يركّز البطل في سعيه على الانتقام، ويظهر كل عمل عنيف آخر يرتكبه على أنه مقبول لأنه لا يصل إلى عتبة الخطورة التي يمثلها القتل. إن القتل لا يعنيه سوى من الناحية الأخلاقية، وهذا أمر غريب، لأن العديد

---

(1) بيترا كوبرز، «العمى والتأثير: موقع/رؤية داريدفيل»، المراجعة الفصلية للسينما والفيديو، 23، 2 (2006)، ص 91:

http://dx.doi.org/10.1080/10509200590490592

(2) تشيس ماغنيت، «ديرديفيل والتعذيب وأهمية السياق»، Comicbook.com، 13 أبريل 2015:

http://comicbook.com/2015/04/13/daredevil-torture-and-the-importance-of-context/

انظر أيضاً نوح بيرلاتسكي، «كيف حولت سلسلة نتفليكس التلفزيونية الجديدة ديرديفيل التعذيب إلى فضيلة»؟، Reason.com، 21 أبريل 2015:

http://reason.com/archives/2015/04/21/ how-netflixs-new-daredevil-series-makes

من الأشخاص الذين يحاربهم ليسوا قتلة: يعترض موردوك على كل أنواع الجرائم، لكنه لا يعترض أبداً على جرائمه هو أبداً، إذ يرى أنه لم يرتكب خطيئة طالما أنه لم يرتكب جريمة قتل.

إنّ هذا شبيه بالتطورات القانونية الأكثر إثارة للإرباك، التي حدثت في الولايات المتحدة بعد أحداث 11 سبتمبر، وهو تطوّرٌ ظهرتْ له تداعيات جوهرية وطويلة الأمد، تمثلت بعمليات الاعتقال والتعذيب المتضاربة، والتي سرعان ما تبلورت في معتقل خليج غوانتانامو، وفي الشبكة العالمية من سجون التعذيب في المواقع السوداء التي تديرها وكالة الاستخبارات المركزية. وفي سياق نصائحه القانونية للحكومة الأمريكية التي تحدِّد معايير الاستخدام القانوني للقوة في الاعتقال والاستجواب، تجاهل المحامي جاي بايبي تعريف التعذيب المعترف به دولياً، والمنصوص عليه في اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب (UNCAT)، مدّعيا أنّ التعذيب هو تعيين «عتبة عالية من المعاناة»[1]. إن تعريف اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب UNCAT للتعذيب يعدّ تعريفاً شاملاً، ويأخذ في الاعتبار العديد من أشكال سوء المعاملة التي يصنفها من بين أنواع التعذيب مثل العنف والحرمان والإهمال وظروف الاعتقال غير المقبولة، ووضعَ معياراً لما يُعتبر تعذيباً بناء على تجربة الضحية. في تعريف اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب UNCAT للتعذيب، الذي يعدّ المعيار الذهبي العالمي لتوضيح ما يجب على الدول حظره،

(1) فيليب ساندز، فريق التعذيب: الكشف عن جرائم الحرب في أرض الحرية، الإصدار الثاني، (لندن: بينجوين، 2009)، ص 90.

نجد أن المعاناة الجسدية للضحية هي المقياس الذي يثبت من خلاله وقوع فعل التعذيب، وليس رأي الشخص الذي تسبَّب في المعاناة. على النقيض من ذلك، خلَصَتْ نصيحةُ المحامي بايبي القانونية إلى أنّ المعاملة الوحيدة التي يمكن اعتبارها تعذيباً هي التي تسبّب الألم «على غرار تلك التي تترافق مع إصابات جسدية خطيرة تصل إلى الوفاة أو فشل الأعضاء»[1]. كان الهدف من مداخلة المحامي الفاضحة هذه، التي تسمح لمرتكبي التعذيب بتجاهل كل المعاناة التي يتسببون بها ما لم يقتلوا الشخص، هو التأكد من أن أنشطة المحققين والشرطة العسكرية الأمريكية الذين أساؤوا معاملة المعتقلين لا يمكن اعتبارها تعذيباً، لأن بروتوكولات الاستجواب بعد أحداث 11 سبتمبر في سجون الحرب الأمريكية لم تستوفِ عناصر هذا التعريف الجديد الذي يتعذّر الوصول إليه عمداً. إذ من خلال القول بأنك لم تعذّب شخصاً طالما أنك لم تقتله، فإن بايبي يلغي صفة الجريمة الواضحة عن التعذيب بشكل فعلي. هذا المعيار المزدوج يؤدي دوره أيضاً في انشغال ديرديفيل بالقتل – فهو بطل خفي يستخدم العنف، لكنه لا يتحمل المسؤولية عن عنفه ما لم يقتل. في ديرديفيل، كل شيء لا يرقى إلى سلب الحياة هو لعبة عادلة.

---

(1) جاي بيبي، «مذكرة لألبرتو ر. غونزاليس، مستشار الرئيس، بخصوص: معايير السلوك للاستجواب بموجب 18 2340 §§ USC–2340A» في: أوراق التعذيب: الطريق إلى أبو غريب، محرّر. كارين جيه جرينبيرج وجوشوا لـ دراتيل، (نيويورك: مطبعة جامعة كامبردج، 2005)، ص 172.

علاوة على ذلك، هناك العديد من الأشياء الأكثر إثارة للاهتمام حول طريقة صياغة المسلسل التلفزيوني لظاهرة للتعذيب. أولاً، يستطيع ديرديفيل التمييز بوضوح بين الأكاذيب والحقائق عندما يعذّب شخصاً ما بسبب حساسيته الشديدة للمعلومات الملموسة. إنّ تفرّد قوته الفائقة يكمن في أنّ إصابته بالعمى تجعله حساساً بشكل خارق للطبيعة لأشكال أخرى من المدخلات الحسية، لدرجة أن بإمكانه استشعار ارتفاع في معدلات النشاط الفيزيولوجي، مثل معدل التنفس أو ضربات القلب، تماماً مثل جهاز كشف الكذب البشري. لذلك فإن ديرديفيل هو ما يسميه العلماء المختصون في دراسات الإعاقة «المعاق فائق القدرات supercrip»، أي شخصية نموذج أصيل نجدها في قصص الإعاقة التي «تصوّر امتلاك الشخص المعاق مواهب وقدرات يحلم بها الأشخاص الأصحاء. وبعبارة أخرى، إن البطل «معاق» و«معاق فائق القدرات» في آن واحد[1]. إن إعاقته تمنحه قدرات سحرية؛ وما يعوقه في الحياة الطبيعية يجعله في الواقع أكثر من مجرد إنسان عادي (قد يجادل علماء دراسات الإعاقة، مع بعض التبريرات، بأن هذه طريقة غير إنسانية للغاية لتصوير الأشخاص ذوي الإعاقة). يمتلك ديرديفيل بصيرة غنية وقويّة للغاية وغير موجودة لدى أي شخص آخر، التي تسمح له بإدراك حقيقة أو زيف المعلومات التي يحصل عليها عند تعذيب الأشرار. وبالإضافة إلى كونه يمثل تجسيداً مجازياً جريئاً لمبدأ

(1) توبين سيبرز، «الإعاقة كزيّ تنكري»، الأدب والطب، 23: 1 (2004)، ص 13:
https://doi.org/10.1353/ lm.2004.0010

أن العدالة عمياء، فإن هذا الغرور الأعمى يعدّ حلاً سحرياً ملائماً لأهم التناقضات العسيرة التي تعتري سيناريو القنبلة الموقوتة: إن موهبته الخارقة تجعله يدرك حدود المواقع عبر الصدى، كما أنها الحل لاستحالة التمييز الفوري والصريح بين الحقيقة والكذب. يمكنه اكتشاف الارتفاع في معدل النبض، والتعرق، وما إلى ذلك؛ أما نحن، المشاهدين، لسنا بحاجة للتفكير فيما إذا كان التعذيب فعالاً، لأن المؤشرات المادية لقول الحقيقة (التي يُظهرها المسلسل بصورة غير قابلة للشك وكدليل لا لُبس فيه على الحقيقة أو الباطل) تُقدّم درامياً من خلال تفاصيل تشريحية ومعايير حيوية دقيقة. هنا مرة أخرى نرى التعذيب كوسيلة مباشرة للوصول إلى الحقيقة، إلى جانب أنه أكثر أساليب العنف فعالية، أي أنه الأداة الوحيدة لإنجاز المهمة.

ومن المثير للاهتمام جداً الطريقة التي يحاول ديرديفيل من خلالها جعل التعذيب متناغماً مع النظرية الأخلاقية. في الحلقة الثانية من (الموسم الأول)، ينبغي على ديرديفيل أن يفسر لصديقته كلير تمبل لماذا يرى أنّ من الضروري تعذيب رجل عصابات متورط في جرائم الاتجار بالأولاد الصغار. تسأله كيف يعقل أن يكون من الصواب ممارسة التعذيب؟ وعوضاً عن تقديم تفسير مباشر، يتحول الحوار إلى استرجاع ذكريات مردوك في طفولته، وهو يقرأ عبارات من خطاب قبول ثورغود مارشال لوسام الحرية عام 2004:

هناك ثمن يجب دفعه مقابل الانقسام والعزلة. لا يمكن أن تزدهر الديمقراطية في ظلّ الكراهية، ولا يمكن للعدالة أن تترسخ

وسط الغضب. يجب أن نتخلى عن عدم الاكتراث. يجب أن نتخلى عن اللامبالاة. يجب أن نتخلى عن الخوف.

هذا النص الذي كتبه أساساً القاضي مارشال بهدف حشد الدعم للعمل المناهض للعنصرية[1]، نُشرِ بشكل صادم وفاضح في هذه الحلقة من ديرديفيل كمبرّر للتعذيب. الخوف الذي يشير إليه مارشال في خطابه الأصلي هو الخوف من الصعوبات التي ينطوي عليها بناء الجسور بين المجتمعات. بينما الخوف الذي اقتبس ديرديفيل هذه العبارات من أجله هو الخوف الموصوف في الفصل السابق، الذي يمنع تعذيب الناس عندما يدركون أنه فعّالٌ ومجدٍ. يقول موردوك: «إذا استسلمنا للخوف، فإن رجالاً مثل هذا ينتصرون» مشيراً إلى ضحيته المجرم المقيّد والمكمّم. ويكتب مارشال أن على الناس من جميع الأعراق والمجتمعات أن تعمل بجدّ للتواصل فيما بينها، وأن تسعى جاهدة لتحقيق العدالة الاجتماعية؛ بينما يقول ديرديفيل أن علينا تجاهل الاعتراضات الأخلاقية على التعذيب، والتي تبدو كمراوغات خطيرة، ويجب عدم الخوف من ممارسته (وهذا أمر وحشي بالطبع). يعرف موردوك أن التعذيب سينقذ أرواح الأبرياء، لكنه يرى أيضاً أن تمبل لديها تحفظات أخلاقية حول العنف الشديد. لتسوية المشكلة، يفترض أنه من المهم أن تكون شجاعاً بما يكفي للقيام بما هو ضروري لمكافحة الجريمة

(1) ثورغود مارشال، «خطاب قبول وسام الحرية»، 1992:
https://constitutioncenter.org/liberty-medal/recipients/thurgood-marshall

رغم ما يلقاه التعذيب من اعتراضات. وتقتنع الممرضة تمبل بهذه الحجة، وتشرع في مساعدته في تعذيب الرجل باستخدام خبرتها الطبية لمساعدته على استهداف عصب معين من أجل زيادة الألم (يرى ديرديفيل أن العلاقة بين الألم والحقيقة علاقة كمية مباشرة: كلما زادت المعاناة نحصل على معلومات أوضح).

ومن جديد، عندما تكون حياة الأبرياء على المحك، وثمة شخص فاضل أخلاقياً معرّضٌ لتهديدات، يبرز دور التعذيب باعتباره شرّاً لا بد منه يمكنه إنقاذ الأبرياء من العنف الأعمى، كتكتيك يحفظ الحريات الديمقراطية. وعلى هذا النحو، يصبح التعذيب مثالاً واضحاً على وجه الخصوص على الأخلاقيات التي ينطوي عليها البعد العاطفي لمعضلة هاري القذر: الانتهاكات الأخلاقية الخيّرة، والشعور بالقلق من أن يغلبه الشرّ، والالتزام العاجل المصاحب لضرورة التصرّف بأي طريقة مجدية. إن سيناريو القنبلة الموقوتة كما وضّحتها المسلسلات التلفزيونية (إن واي بي دي بلو) و(24)، و(هاري القذر) و(ديرديفيل)، تستعير إحداثياتها الفكرية من معضلة العربة ومن معضلة الأيدي القذرة؛ كما أن طابعها العاطفي هو شكل من أشكال العنف الصالح الذي يتغلب على الخوف الناتج عن الشر المفرط الذي لا طائل منه. ولأن الجريمة مرعبة، كذلك يجب أن تكون العدالة. يمتلك هؤلاء الأبطال المعرفة التي اكتسبوها سواء من خلال السياسة المحافظة الساخرة في (هاري القذر)، أو الخبرة القتالية المكتَسبة في (جاك باور)، أو البصيرة السحرية كما في (ديرديفيل)، من أجل كشف وتحديد الشر،

ومن أجل مواجهة الشرّ بلا خوف، على عكس المدافعين عن حقوق الإنسان والبيروقراطيين القانونيين المفلسين أخلاقياً. وتلك هي السمة الأساسية (الشجاعة لمواجهة الشرّ بالشرّ من أجل الصالح العام) التي يعتمد عليها سيناريو القنبلة الموقوتة من أجل أن يكون مفهوماً من الناحية الجمالية والأخلاقية والفكرية، أي أنّ التعذيب ليس مفيداً فحسب، بل فاضل أيضاً. مع تلطيف هذه الإشارات العاطفية القوية لصالح التعذيب، لا عجب أن يبدو كأنه الشيء الوحيد الصحيح الذي يجب القيام به.

الفصل الثالث

الحماية

التعذيب بصفته مسؤولية الأب

طفلك مقيّد إلى قنبلة موقوتة. ألقيت القبض على الإرهابي المسؤول عن الأمر. ويخبرك أن لديك ساعة واحدة للعثور عليه قبل انفجارها. هل # تعذبه لتعثر على مكان طفلك أم تتركه ليموت بالانفجار؟[1]

لي هيرست

عام 2017، غرد الكوميدي البريطاني اليميني لي هيرست عبر تويتر هذه النسخة الموجزة والمعدّلة من سيناريو القنبلة الموقوتة. على الرغم من أنها صيغت بشكل فظ وتحولت إلى هاشتاغ ساخر، فإنها تجسد في بعض النواحي مثالاً على فحوى سيناريو القنبلة

---

(1) مارتن روبينز، «لو كان لي هيرست مقيداً إلى قنبلة موقوتة فلن أرغب في تعذيب الإرهابي للأسباب التالية»، صحيفة الجارديان، 26 يناير 2017:
https://www.theguardian.com/science/2017/jan/26/torture-baby-time-bomb-terrorist-trump-lee-hurst-comedian.

شاهد التغريدة الأصلية على:
https://twitter.com/2010LeeHurst/status /824540238081064960

الموقوتة. إنها جريئة وغير واقعية، ومن الواضح أنها ترمي إلى مطالبة المشاركين بالموافقة على أنّ التعذيب هو الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله. ولذلك يُفترض أن يكون التعذيب إجراء فعالاً على ضوء هذه الظروف، كما يبدو أن الإرهابي الشرير الكرتوني يستحقه على اعتبار أنه يتفاخر بجريمته.

ولكن من العوامل التي تجعل التعذيب يبدو صحيحاً في ظل هذه الظروف ليس كونه الشيء الصحيح الذي يجب القيام به في مواجهة الشر وحسب، بل لأنه مؤطّر كجزء من المسؤولية الأبوية. ويتّضح أن التعذيب وفقاً لسيناريو القنبلة الموقوتة ليس فقط واجباً عسكرياً أو مدنياً، أو مسألة حماية للأمة أو البلد؛ وإنما في بعض الأحيان يكون واجباً شخصياً وأسريّاً، ويندرج ضمن تركيبة الأبوة. ويبدو هذا فعالاً من الناحية السياسية، ومقنعاً عاطفياً بسبب الطريقة التي يجعل بها المسألة شخصية وحميمة. وبينما بدت الاعتبارات الفلسفية للفصلين السابقين مجرّدة نوعاً ما، فإن الطريقة التي تصوغ بها هذه التغريدة سيناريو القنبلة الموقوتة تلمس صميم الأسرة، وصميم الشؤون الخاصة. إن النداء الغريزي لحماية الأسرة هو من أكثر أشكال العواطف مصداقية والتي تُستخدم في العديد من أنماط الثقافة الشعبية المعاصرة، لأن حماية الأطفال والضعفاء تعدّ بالطبع قيمة ثقافية مهمّة للغاية، ومسؤولية لا خلاف عليها. ومواءمة هذا النداء مع الأساس المنطقي للتعذيب يعتبر طريقة فعالة للغاية لتبرير التعذيب وفقاً لسيناريو القنبلة الموقوتة، لأنه يجعل التعذيب أمراً مشروعاً. يبحث هذا الفصل في الطريقة التي تقدِّم بها مجموعة متنوعة

من النصوص مسألة التعذيب على أنها جانب طبيعي وواضح من جوانب المسؤولية الأبوية.

على الرغم من أن شخصية الأم مثيرة للاهتمام في أفلام الحركة بسبب حقها الشرعي في الدفاع عن الأطفال باستخدام العنف الشديد -مثل إيلين ريبلي في مسلسل (كائن فضائي Alien)، وسارة كونور في مسلسل (المبيد Terminator)، أو ليزا برينان في مسلسل (لن أتخلى عنك أبداً Never Let Go)، وجميعهنّ يذهبن إلى أقصى حدود العنف لحماية الأطفال الأبرياء- فإن أغلب نصوص التعذيب في سيناريو القنابل الموقوتة تتميز بأبطال من الذكور. ذلك لأن ثمة شيء خاص بشأن التوقعات الاجتماعية المنتظرة من حماية الأب، والتي تدعو الرجال إلى الاعتماد على عدوانيتهم، أي الرغبة في ارتكاب العنف الذي يُفترض عموماً أن يشكل جزءاً مهمّاً جدّاً من الذكورة، واستخدامه ضد أي شخص يهدّد كيان الأسرة. أشارت العديد من الباحثات النسويات إلى أنّ الذكورة، إلى جانب أنها طبيعية أو فطرية أو حتمية، فإنها تنطوي على شبكة معقدة متمايزة من الالتزامات الاجتماعية المكتسبة، والعروض والتوقعات أيضاً[1]. إن الأفكار حول الذكورة مرنة وقابلة للتغيير

---

(1) مجموعة كبيرة من الباحثات النسويات يدرسن هذا الموضوع. انظر على سبيل المثال روين كونيل، الذكورة، الطبعة الثانية، (كامبريدج: بوليتي بريس، 2005)؛ جون توش، «الذكورة المهيمنة وتاريخ الجنس». في الذكورة في السياسة والحرب، محرّران. ستيفان دودينك، كارين هاجيمان وجون توش، (مطبعة جامعة مانشستر، 2004)، ص 41-58.

وتتأثر على نطاق واسع بتعميم نماذج من السلوك الذكوري المثير للإعجاب، والتي يمكن رفع شأنها عن طريق الكنائس، أو أن تتناقلها وسائل الإعلام، وتحتفي بها الدول، أو تدمج بشكل غير رسمي في الثقافات المحلية التي تعبِّر بطرق مختلفة عن المثاليات والتخيلات والرغبات، وتضع نماذج للعلاقات مع النساء وحلولاً لمشاكل النوع البشري[1].

ولا ضرورة لتطابق هذه النماذج القائمة على النوع الاجتماعي مع خبرات معظم الرجال لتؤدي دورها كصور ملهمة؛ ومع ذلك ونظراً لوجود الكثير من الأمثلة الجريئة عن السلوك الذكوري المرغوب فيه كركيزة للثقافة المعاصرة فإن تأثيرها واسع النطاق.

وبوضوح أكثر، ورغم أن عبارة «أن تكون رجلاً» قد تبدو بسيطة وبديهية ولا تتطلب أكثر من استيعاب الفطرة السليمة، فإنها ليست عبارة تلقائية، وتتطلب يقظةً وتدريباً دائمين. توفِّر الثقافة الشعبية والأيديولوجيا البصرية صوراً ملهمة للذكورة، وأمثلة عن السلوك والمظهر والقيم التي تعزّز بمهارة الأفكار السائدة اجتماعياً عن (كيف تكون رجلاً). فعلى سبيل المثال، لكي يكون الرجل جذاباً، يجب أن يكون طويلاً ونحيلاً وقوي البنية وذكياً، ولديه الوسائل الاقتصادية لدعم كيان أسرته الصغيرة. بالإضافة إلى ذلك، هناك بعض الميزات الثقافية والسلوكيات المحددة والخصائص

(1) روين كونيل، «حول الذكورة المهيمنة والعنف: رداً على جيفرسون وهال»، علم الجريمة النظري، 6: 1 (2002)، ص 90:

https://doi.org/10.1177/136248060200600104

التي يجب أن يظهرها شخص ما إذا أراد أن يقبله الآخرون كرجل «حقيقي»، الأمر الذي يتطلب مجموعة من السلوكيات والسمات المميزة. والأهم بالنسبة لسيناريو القنبلة الموقوتة وجود تأكيد مستمر على أنَّ استيفاء معايير الرجولة المهيمنة (والتي أعني بها أشكال الرجولة المهيمنة اجتماعياً وسياسياً) يتطلّب أن يكون المرء قادراً دوماً على استخدام العنف بنجاح لصالح الأسرة، لأن الدوافع الوقائية الذكورية العادية تفرض عليه طابع العنف والشخصية الانتقامية.

على سبيل المثال، يقارن فيليب بوبيت سيناريو القنبلة الموقوتة مع مسألة ما إذا كان الأب المفجوع على سبيل المثال سيدعم عقوبة إعدام المجرم الذي قتل عائلته. ويقول إن «الإجابة الصحيحة» لكلتا المسألتين «لا تكمن في خطاب مطوّل مفعم بالندم وإن كان رفيع المستوى بشأن منح حقوق الإنسان للمجرمين»[1]. يرى بوبيت أن من الواضح تماماً أن الأب المفجوع قد يرغب بموت المجرم، ومن الواضح أيضاً أن التعذيب له ما يبرره هنا وفق سيناريو القنبلة الموقوتة. إن الأمر ببساطة مسألة تتعلق بالفطرة السليمة الواضحة. وتكشف ملاحظاته الحاسمة أيضاً عن حقيقة أن المطالب العاطفية للسيناريو محدَّدة على وجه الخصوص لجعل الجماهير تشعر أن من الأفضل تجاهل حقوق الإنسان فيما يتعلق بالمجرمين. يعتمد سام

(1) فيليب بوبيت، الإرهاب والموافقة: حروب القرن الواحد والعشرين، (لندن: ألن لين، 2008)، ص 361.

هاريس في تقديمه لحجته العواقبية عن التعذيب على الدوافع الأبوية لجعله أكثر إلحاحاً عاطفياً. «إذا لم تحرِّكْكَ قنبلةٌ موقوتة، تخيَّلْ أن ابنتك البالغة من العمر سبع سنوات تختنق ببطء في مستودع يبعد خمس دقائق فقط، بينما يحمل الرجل المعتقل مفاتيح الإفراج عنها»[1]. وبالمثل، يشير جويل سورناو، المشارك في تأليف مسلسل (24) إلى أنه: «إذا اختطف شخص ما أحد أولادي، أو زوجتي، فسوف آمل أن أفعل ذلك»[2]. ويلاحظ داريوس ريجالي أن جان لارتيجوي يرى إنّ «الفشل في التعذيب هو استجابة جبانة. وأن الرجل الحقيقي وحده يعرف ماذا يفعل»[3]. وبذلك يعدّ ارتكاب العنف والتعذيب خياراً واضحاً إذا كانت الأسرة معرضة للخطر، وهذا نداء إلى اتباع خيار الحماية العدوانية الموصوفة بأنها مكوّن ضروري للذكورة، والتي تُعدّ من الإحداثيات الرئيسية للمفاهيم الثقافية في سيناريو القنبلة الموقوتة.

تحاكي ضرورة الحماية الذكورية التجربة الفكرية لسيناريو القنبلة الموقوتة المترافق مع الحاجة الملحّة: إن كنت تحب عائلتك، كما تدّعي، فأنت ملزم بحمايتها مهما كلف الأمر. وهذا يغير بحنكة دون شك طبيعة السؤال الذي يطرحه سيناريو القنبلة الموقوتة. إذ لم يعد يتساءل عما إذا كان التعذيب مقبولاً في ظروف معينة ومقيّدة جداً. بل يتساءل عما إذا كنتَ تحبّ عائلتك. وبالتالي من خلال

(1) سام هاريس، نهاية الإيمان، ص 193.

(2) ماير، «مهما تطلّب الأمر». التوكيد مضاف في الأصل.

(3) ريجالي، التعذيب والديمقراطية، ص 548.

النجاح في فرض الإجابة بـ «نعم» على هذا السؤال الحميم، فإنه ينجح في إزاحة عبء هذه الـ «نعم» الإلزامية عن سؤال التعذيب من خلال تطبيق هذا القياس المنطقي البسيط جدّاً. بالطبع تحب عائلتك؛ بالطبع ستفعل أي شيء لحمايتها؛ ولن تتردد في ممارسة التعذيب على أحدهم من أجل إنقاذ أحبائك؛ وبالتالي يصبح الدفاع عن التعذيب مشروعاً. ويشبه أسلوب الترهيب الأخلاقي هذا الأساليب التي يستخدمها العنصريون البيض الذين يدّعون أن الأقليات العرقية تشكل تهديداً جنسياً على النساء والفتيات البيض، أو تلك التي تستخدمها الجماعات المناهضة للمتحولين جنسياً التي تدعي أنّ مطالبة النساء المتحولات بحق الاعتراف بهنّ يعرّض النساء الأخريات لخطر الاغتصاب. وهذا بحدّ ذاته تحولٌ عن القضية المطروحة، ويُستخدم من أجل التلاعب بمشاعر الناس وتمكين أجندات سيئة. ونشهد تحولاً آخر من هذا النوع في الرسالة العامة التي تُطرح عندما يُعرض التعذيب كسلوك يمكن اللجوء إليه لحماية الضعفاء. وحيث إن حماية الضعفاء أمرٌ مفروغ منه ويمثّل مبدأ عاماً، فثمة انحراف في تلك النصوص عن هذا المبدأ نحو موضوع محدّد ألا وهو مبدأ التعذيب. بمجرد أن تعلن موافقتك على ضرورة حماية الأبرياء، فأنت مضطر للموافقة على أن استخدام التعذيب بهدف الحماية يجعل منه نشاطاً مشروعاً. وفي غياب هذه الإحداثية المتعلقة بالمسؤولية الأبوية، سوف تفتقر التجربة الفكرية لسيناريو القنبلة الموقوتة إلى قدر كبير من قوة تأثيرها البلاغية والعاطفية.

الرجال الحقيقيون يدركون ما يفعلون

ركّزت هوليوود اهتمامها على الأسرة منذ أن بدأت في إنتاج الأفلام. بصرف النظر عن الأنواع الأكثر رواجاً مثل الكوميديا الرومانسية أو الدراما العائلية، نلاحظ أن قصص الأفلام السوداء على سبيل المثال تعدّ في كثير من الأحيان سرداً أخلاقياً يؤكد المصير الشنيع الذي ينتظر أولئك المتورطين في الجريمة أو العلاقات خارج نطاق الزواج، وأن أفلام الرعب تعرض انبهاراً واضحاً بما يسمّيه طوني ويليامز «النسخة الأسرية المفروضة من الناحية الإيديولوجية التي تنفي أي بدائل لسلطتها في المجتمع البشري»؛ أي أن أفلام الرعب تُظهر المصير المرعب الذي ينتظر من يحاول زعزعة أركان الأسرة، أو يستمدّ قوّته من ترهيب الأسرة عبر إخضاعها للتهديد[1]. وبالمثل، وكما وصفتها كارين شنايدر، فإن قصص أفلام الحركة المعاصرة هي أمثلة غنية عن الانشغال السياسي السينمائي بوحدة الأسرة خصوصاً، حيث تسرد قصصاً يستخدم فيها العنف لحماية أحبّاء البطل، تقول شنايدر أن هذه الأفلام «تعمّق المكانة المركزية للأسرة بإصرار شديد من أجل هيكلة التجربة الأمريكية المعاصرة»[2]. بالإضافة إلى أن أفلام الاختطاف والإنقاذ المتنوعة مثل الكوماندو Commando أو الاختطاف Kidnap تؤكد دراميّاً

(1) توني ويليامز، مواقد الظلام: الأسرة في فيلم الرعب الأمريكي، طبعة محدثة (مطبعة جامعة مسيسيبي، 2014)، ص 2.

(2) كارين شنايدر، «بالعنف إذا لزم الأمر: إعادة صياغة الأسرة في أفلام الإثارة المعاصرة». مجلة السينما والتلفزيون الشعبي، 27: 1 (1999)، ص 4.

على الحاجة الملحة لحماية الأطفال من المصائر المرعبة التي تنتظرهم خارج هالة الأسرة الحامية.

وبإيجاز أكثر، إن أفلام غزو المنازل، مثل (غرفة الذعر Panic Room)» أو (ألعاب مضحكة Funny Games) أو (التطهير The Purge) هي أمثلة حية على وجه الخصوص عن الروايات التي تستمد دورها العاطفي من إضفاء الطابع الدرامي على التهديدات المباشرة والعنيفة للعائلة إلى جانب الميزة العاطفية والسياسية التي تراعي خصوصية الحيز المكاني. الذكورة العنيفة هي محور هذا النوع من الأفلام؛ كما كتب مايكل فيدلر عن فيلم كلاب القش Straw Dogs، الذي يدافع فيه أستاذ الرياضيات عن منزله وضيفه وعائلته ضد غزاة المنزل، «يجب أن تقع مسؤولية حماية أي شيء داخل المنزل وخاصة أفراد الأسرة على عاتق الرجل الحامي»[1]. في الواقع، الرواية التي اقتبس منها فيلم (كلاب القش) هي رواية (حصار مزرعة ترينشر)، للكاتب جوردون ويليامز، والتي تهتم صراحة بالطريقة التي حفّز بها الصدّ العنيف لهجوم الغزاة الذكورة الخاملة لدى البطل وأعاد تنشيطها: وبالنتيجة حافظ البطل على سلامة أسرته باستخدام العنف، وأحيا أيضاً علاقته الحميمة مع زوجته، من خلال الطريقة التي كشفت بها حمايته لأسرته عن قدرات كامنة لديه. لقد «شعر بالتعب. والفخر. أعظم شعور في العالم. أن تفعلها

(1) مايكل فيدلر، «أداء ألعاب مضحكة في آخر بيت إلى اليسار: النوع الغريب من الأفلام الذي «يغزو المنازل»، ثقافة إعلام الجريمة، 9: 3 (2013)، ص 292.

بنفسك. أن تدرك أنك قادر على مواجهة أي شي وأي شخص. أن تدرك أنك رجل حقيقي في صميم أعماقك»[1]. إن الإحداثية العاطفية الأساسية التي يتشاركها سيناريو القنبلة الموقوتة مع أفلام الغزو المنزلي هي الدفاع عن النفس: عندما تتعرض الأسرة (الصورة المصغرة عن المجتمع نفسه) لخطر تهديدات عنيفة، فإن دفاع الأبطال الذكور عنها باستخدام قوة عنيفة مكافئة يصبح مُبرَّراً.

كما رأينا، إن العديد من روايات سيناريو القنبلة الموقوتة تركّز على عمليات الإنقاذ والحماية. حيث يظهر التعذيب كوسيلة للتدخل في موقف ما قبل وقوع ضررٍ يهدد حياة الأبرياء. وغالباً ما يظهر هذا كمصدر قلق للأسرة الصغيرة: ربما الأسرة منقسمة بشكل ما ويساعد عنف التعذيب على إعادة لم شملها، أو ربما تكون عذرية طفلة صغيرة معرضة للانتهاك غصباً (وهذا يمثل بالطبع البراءة عموماً)، ويمنع التعذيب جريمة الاغتصاب البشعة هذه. بالعودة إلى بعض النصوص التي ناقشناها في الفصل السابق، نجد أن الدافع وراء مشهد التعذيب في فيلم (هاري القذر Dirty Harry) هو رغبة هاري في إنقاذ فتاة في الرابعة عشر من عمرها من خاطفها ومغتصبها. وتمحور الموسم الثاني من مسلسل (24) نوعاً ما حول مهمة جاك باور لإنقاذ ابنته العذراء كيم من الخطر. إن مشهد التعذيب الذي يمارسه مات موردوك في الحلقة الثانية من

(1) جوردون ويليامز، حصار مزرعة ترينتشر، (لندن: تيتان بوكس، 2011 [1969])، ص 210.

(ديرديفيل) كان مدفوعاً برغبته في استعادة صبية صغار من عصابة للاتجار بالبشر تهدف إلى بيعهم لأغراض العبودية الجنسية. وفي الموسم الثاني من مسلسل (المعاقب) ينقذ فرانك كاسل امرأة شابة من مجموعة من المخاطر المتكرّرة التي هدّدت حياتها.

نجد مثالاً آخر على تمثيل قصة كتاب مصور يتعلق بحماية الأطفال الضعفاء، في الحلقة الثانية من ثلاثية باتمان التلفزيونية (جوثام)، حيث يحتجز الخاطفون حافلة مليئة بأطفال الشوارع المشردين. وكجزء من تحرياتها، فإن رجلي الشرطة البطلين: جيمس جوردون (الذي على اعتباره رجلاً صالحاً فإنه يعترض على الطبيعة العنيفة للاستجواب في قسم شرطة جوثام)، وهارفي بولوك (الذي لا تزعجه مثل هذه الهواجس) يعملان على استجواب المخبر. في بداية المشهد، كان بولوك يضرب مخبره بدليل الهاتف (على افتراض أن السلاح الناعم أقل قدرة على ترك الكدمات)، كما أنه يزيد من ترهيب ضحيته من خلال شرح أسبابه المنطقية وعجز الضحية الكامل عن الدفاع عن نفسه. ويقول بولوك مشيراً إلى جوردون:

بولوك: أترى هذا الرجل هناك؟ إنه يكره أن أضرب الناس، ولكنه يوافق على ضربك أنت بالذات، لماذا؟

غوردون: لأسباب حسابية. حياة ثلاثين طفلاً مقابل حياة رجل أحمق.

بولوك: لذا يمكنني توجيه الضربات لك مثل طبل البونغو، ولن يتدخل القديس جيم هنا.

نرى هنا أحد معارضي التعذيب يوافق على ممارسته في حالة الأزمات الطارئة محدودة، ويرى أن فائدته لها ما يبررها بشكل حاسم في الظروف التي تكون فيها حياة العديد من الأرواح البريئة والضعيفة عرضة للخطر. في فيلم آخر، المعادل، يرافق بطل الفيلم ماكال عاهرة شابة يصحبها في أمسياته الوحيدة التي اعتاد أن يقضيها في القراءة وتناول العشاء. وعندما علم أنها تتعرض للضرب والإساءة من قبل صاحب العمل، يعمد ماكال بمفرده إلى تدمير الإمبراطورية الإجرامية للأوليغارشية الروسية التي تموّل استغلال النساء بشكل كلي. وكجزء من هذا المسعى، يقوم بتعذيب ضابط شرطة فاسد عبر احتجازه في سيارة تمتلئ سريعاً بغاز من عادمها، مهدداً بقتله اختناقاً إذا لم يمتثل لطلبه بالمساعدة. وبالتالي نجد أن قصص التعذيب وفق سيناريو القنبلة الموقوتة راسخة بقوة في تقليد يؤكد قيمة الحماية عبر ممارسة العنف الأبوي المتطرف.

في أحدث موسم لمسلسل (24): الموروث، هناك حشد واضح لفكرة استخدام التعذيب لتحقيق الغاية النبيلة، وهي حماية الضعفاء وحماية الأسرة بشتى الطرق. في الحلقة الثامنة، يقوم زعيم العصابة إسحاق كارتر بتعذيب إرهابي جريح لتحديد مكان شقيقه إريك كارتر، بطل المسلسل، الذي وقع تحت قبضة الخصم الرئيسي جاد الله بن خالد (يتمكن رؤساء إريك في وحدة مكافحة الإرهاب من تحديد موقعه من خلال مراقبة حركة المرور، ولكن بالنسبة لأولئك الذين لا يستطيعون الوصول إلى مثل هذه التكنولوجيا،

فإن التعذيب له الفعالية نفسها). ومن بين سيناريوهات التعذيب الثلاثة في هذه الحلقة، فإن هذا المشهد مثير للاهتمام بشكل خاص لما له من صلة بإنقاذ الأسرة. بمجرد وصول رجال إسحاق، يحاول إقناعهم في مساعدته على استخدام المعلومات التي حصل عليها لمنع المزيد من الهجمات الإرهابية وإنقاذ شقيقه. ويقول إن من الضروري إيقاف الإرهابيين لأنهم يستهدفون «أمهاتكم وأخواتكم وأطفالكم والجميع، كما أنهم قبضوا على أخي». وعندما يرفض طاقمه الاقتناع بهذه الحجة، ومع محاولته زيادة حصصهم المالية إذا ساعدوه، تلقي زوجة إريك نيكول حواراً يغير رأيهم. «لا بدّ أن للأسرة مكانة خاصة لديكم، أليس كذلك؟ وإلا، ما الهدف؟ أذكر عندما كنتم جميعاً أسرة واحدة، وكنا نفعل كل شيء معاً. قبل أن يتحول كل شيء إلى مجرد عمل». توضح هذه الحجج مجتمعة ما كان على المحك فيما يتعلق بتعذيب إسحاق للإرهابي، حيث يبرر بأثر رجعي من خلال إشارة صريحة إلى قيمة الأسرة. يريد إسحاق حماية عائلته ومنع الهجوم على المزيد من العائلات في جميع أنحاء مدينة نيويورك؛ وتفوز حجته بمناشدة الطريقة التي سيعزز بها هذا العنف الحمائي إحساس العصابة بأهمية كيان الأسرة.

ويعرض مشهد آخر من مشاهد التعذيب في هذه الحلقة (مدفوعاً أيضاً بالحاجة إلى تحديد موقع إريك وخاطفه) بشكل صريح على أنه لصالح الدفاع عن العائلات عموماً. في حلقة سابقة (الحلقة السادسة) انفجرت شاحنة مفخخة على جسر، مما أسفر عن مقتل العديد من المدنيين.

والرجل المعتقل الذي يعرف المشاهدون بالتأكيد أنه مذنب بتهمة التواطؤ مع الإرهابيين وتمكينهم، لن يتعاون مع عملاء القانون والنظام. والمثير للاهتمام، على الرغم من أن هذا الاستجواب لم ينجح في نهاية المطاف في انتزاع المعلومات التي قد توقف المزيد من الهجمات، فإنه لا يزال، وفقاً لمنطق العرض، له ما يبرره أخلاقياً. ولتوضيح الحاجة إلى استخدام ما تسميه «تقنيات الاستجواب المحسّنة» ضد هذا الرجل، تزوِّد عميلة في وحدة مكافحة الإرهاب زوجها (عضو مجلس الشيوخ) بأساس منطقي لتبرير التعذيب، والذي يصف صراحة العنف المتبع في استجوابات مكافحة الإرهاب على أنه نشاط يحمي العائلات بشكل مباشر:

لم يعد لدينا الوقت. أرأيت ما حدث على الجسر، جون؟ كانت هناك عائلات في تلك السيارات، أطفال مع آبائهم وأمهاتهم. ويخطط الإرهابيون لمزيد من الهجمات. جون، هل تعتقد حقاً أن هذا الاستجواب ليس له ما يبرره؟ إن كان هناك المزيد من الهجمات، هل يمكنك فعلاً الوقوف وإخبار عائلات هؤلاء الضحايا أن هذا خط أحمر لا يمكنك تجاوزه؟

على الرغم من أن ضحية التعذيب هو والد جون، فإن جون مقتنع بهذه الحجّة القائلة بأن قيمة العائلات الأخرى (وأن المجتمع الوطني بحدّ ذاته هو عائلة أيضاً بشكل من الأشكال) التي تعرّضت للخطر بسبب أفعال والده، تفوق أي اعتبار آخر.

في فيلم (تيكن Taken) نجد بطل الفيلم بريان ميلز، وهو

رجل متقاعد عمل سابقاً مع وكالة الاستخبارات المركزية، مثل ديرديفيل، وماكال في فيلم (المعادل)، وجاك باور في (24)، أو كلاك في فيلم (توم كلانسي)، ويمتلك مجموعة من المهارات الخاصة جداً أي معرفة أساليب التجسس، وأيضاً القدرة على التعذيب. إنه في حالة يقظة مرتبطة بالزمن، حيث عليه إنقاذ ابنته كيم (فتاة جميلة ضعيفة طفولية وعذراء ساذجة) من بيعها للعبودية الجنسية من قبل تجار البشر الألبان. لديه ست وتسعون ساعة من لحظة القبض عليها، وعلاوة على ذلك، فهو مسؤول عن تطبيق العدالة بنفسه، حيث اكتشف تورط رجال الشرطة في الاتجار. ومن بين الملامح الأخرى لمهاراته، مثل القتال اليدوي، والقيادة البارعة، واستخدام تكنولوجيا التتبع المتطورة، يقوم ميلز بتعذيب اثنين من المهربين حتى الموت كجزء من بحثه عن معلومات تتعلق بمكان كيم. أولاً، صعق مهرباً ألبانياً حتى الموت؛ ويطلق لاحقاً النار على عضو مهم في منظمة الاتجار بالبشر كي ينتزع منه المعلومات التي يحتاجها، ومن ثم يقتله. وبعد فترة وجيزة، يتمكن من إنقاذ كيم من قبضة شيخ بدين كان قد دفع المال مقابل اغتصابها.

لا يظهر التعذيب جلياً في الجزء الأول، ولكن في الجزء الثالث تيكن Taken 3 (أو بالأحرى، Tak3n) يعرض مشهداً يساعد فيه التعذيب البطل ميلز على تحقيق هدفه في إنقاذ زوجته السابقة. ونجد في سلسلة أفلام تيكن، أن الأخلاق منظمة بشكل صارم وحازم: فمن أجل إنقاذ النساء في حياته (ابنته البكر، وزوجته الجميلة المنفصلة عنه) من الاستغلال الجنسي المخزي أو الموت المؤكد، يظهر

أن تصرفات الأب مبررة جميعها ويجوز له فعل أي شيء، مهما كان عنيفاً، بهدف إنقاذهم. وعلى الرغم من فشل البطل في العديد من النواحي في دوره الأبوي (إذ كان غائباً عن مراحل عديدة من نشأة كيم) فإنه يبالغ بشكل مفرط في الحماية، ولا يمتلك المال لإنفاقه على الهدايا المبهرجة، لكن استخدامه للعنف يؤكد على السمة الأبوية المهمة بالفعل. وعندما يحين وقت الحسم، فإن محاولاته السخيفة في اختيار هدايا عيد الميلاد ليست مهمة؛ ما يهم هو استعداده للتعذيب والقتل دفاعاً عن النساء في حياته. إن فيلم (تيكن) وأجزاءه هو من نواح عديدة من نوع فيلم (أمنية الموت Death Wish)، حيث يدور كلاهما حول حماية الأبرياء من خلال البطولة الحارسة الأبوية. في جزء من أفلام أمنية الموت (وجه الموت The Face of Death)، على بطل الرواية بول كيرسي إنقاذ ابنة زوجته تشيلسي من والدها البيولوجي، وهو رجل عصابات عنيف ومخيف. وفي طريقه للعثور عليها، يعذّب كيرسي أحد زملاء والدها من خلال خنقه بواسطة كيس من البلاستيك الصناعي. مما يجبر الضحية على الكشف عن مكان الفتاة. يتمحور الفيلم موضوعياً حول مسألة الأبوة، يقوم كيرسي بتعذيب الشرير لإنقاذ الفتاة، في حين أن والدها البيولوجي يعرّضها للخطر بسبب نشاطه الإجرامي. يمارس العنف الفاضل هنا دفاعاً عن الفتاة البريئة. والنسخة الجديدة من فيلم إيلي روث 2018 (أمنية الموت) تُضخِّم هذا الاهتمام بالذكورة بشكل كبير. يتميز فيلم روث بمشهد يذكُر فيه والد زوجة كيرسي مبدأ الحماية الذكورية المخصصة التي تكمن وراء سيناريو القنبلة الموقوتة:

يعتمد الناس عادة على الشرطة للحفاظ على سلامتهم. وتلك هي المشكلة. لا تصل الشرطة إلا بعد وقوع الجريمة. وهذا يشبه الإمساك بالثعلب أثناء خروجه من قنّ الدجاج. إذا أراد الرجل حقاً حماية ما يخصه، فعليه أن يفعل ذلك بنفسه.

تدور أحداث نسخة روث التي تتميز بخاتمة تشبه أفلام غزو المنازل، حول طبيب جراح ينتقم لأسرته بعد الجريمة المروعة التي تودي بحياة زوجته وتعرض حياة ابنته لخطر شديد. وسعيُه للانتقام يسهِّل عليه تعذيب المجرمين؛ إذ إنه يمارس التعذيب على اثنين من المجرمين الثلاثة الذين داهموا منزله من أجل أن يعترفوا بمكان المجرم الثالث الذي خطَّط للجريمة وينوي العودة لإنهاء العمل بقتل باقي أفراد الأسرة. ينجح تعذيب كيرسي على الفور في انتزاع معلومات تساعده على حماية ابنته بعد عودتها إلى المنزل من المستشفى. بعد الانتهاء من الفيلم المفعم بالعنف، يقول الشرطي لـ كيرسي: «لقد دافعتَ عن عائلتك كما كان سيفعل أي رجل في مكانك». تضع روث بين يدينا هنا فيلم (أمنية الموت) على شكل خرافة مفعمة بالغلو والمبالغة حول أهمية الذكورة المهيمنة. وكما في فيلم كلاب القش، يضطر بطل الشخصية المركزية إلى التخلي عن سلميته الليبرالية ليصبح «رجلاً حقيقياً» من أجل حماية عائلته بواسطة العنف الشديد الانتقامي.

ولكن بشكل عام، يمكن تمييز أفلام أمنية الموت، مثل المعاقب، بسهولة عن أفلام سيناريوهات القنبلة الموقوتة على اعتبار أن تركيزها الأساسي منصبّ على الانتقام وليس الوقاية. بالإضافة

إلى ذلك، غالباً ما تهتم هذه الأفلام والمسلسلات من الناحية المفاهيمية بالجدل الأمريكي حول التحكم بالأسلحة النارية أكثر من اهتمامها بإيجاد حجج لممارسة التعذيب (بنفس الطريقة التي عبّر بها فيلم هاري القذر عن الجرائم العنيفة في أمريكا في السبعينيات). ومع ذلك، فإن الإحداثيات الرئيسية لهذا النقاش (مثل فائدة العنف وفضائله وقيمته الحمائية، والأهم من ذلك، فكرة عدم ضرورة الاعتماد على قوى القانون والنظام عندما تكون سلامة الأسرة على المحك) مشتركة مع إحداثيات تبرير سيناريو القنبلة الموقوتة للتعذيب. إن سلسلة أفلام تيكن وأمنية الموت، وما سبقها، وأفلام أخرى مثل فيلم نيكولاس كيج (مسروق Stolen) تكشف بشكل قاطع مدى اعتماد سيناريو القنبلة الموقوتة على التوقعات الذكورية لدور الأب. يعتمد سيناريو القنبلة الموقوتة على توقعات واسعة الانتشار اجتماعياً تفيد بأن الأهل، وخاصة الآباء، مستعدون دائماً لاستخدام العنف بهدف الحماية، الأمر الذي يتطلب من المشاركين تأييد التعذيب إن كانوا يعتبرون أنفسهم أمهات وآباء صالحين.

اليأس

ينتقد عمل دينيس فيلنوف (السجناء) صراحة اختزال الذكورة الذي أصفه هنا. في هذا الفيلم، اختفت فتاتان صغيرتان للغاية، ويشتبه في اختطافهما من قبل مرتكبي الجرائم الجنسية. يقوم أحد الأبوين، كيلر دوفر، باختطاف المشتبه به الوحيد، الذي أفرج

عنه بسبب نقص الأدلة، ويحبسه في بناء مهجور، ويبدأ بتعذيبه. وقد فسّر تصرفه لوالد الفتاة الأخرى، فرانكلين، بأنه يكرّر حالة كلاسيكية للتعذيب في حالات الطوارئ. ويصر وهو بالكاد يخفي غيظه: «سوف نقوم بتعذيبه إلى أن يعترف وإلا ستموتان». سوف نقوم بتعذيبه إلى أن يعترف وإلا ستصبح الطفلتين في عداد الموتى. هذا الخيار الوحيد الذي لدينا. هذا هو الخيار الذي علينا القيام بهِ. لقد حسمتُ قراري. ويقتنع فرانكلين بهذا الكلام، ويشرع في مساعدة كيلر عن طريق تثبيت ضحيتهما والصراخ في وجهه مهدداً إياه بالمطرقة. ولكن تكشف الأحداث في الفيلم لاحقاً أن كيلر يعذِّب الرجل الخطأ دون داع. ولكن ينتقد هذا الفيلم التعذيب من ناحية أخرى وهي بأن التعذيب لا يُبَرَّر إذا ارتُكب ضد الشخص الخطأ. إن مثل هذه المواقف محدودة على أي حال، لأنها لا ترفض التعذيب عملياً: بل تحدِّد فقط الحالات التي يُسمح فيها، وتعترض على الحالات التي تقع خارج هذا النطاق (والإشارة إلى أن من الخطأ تعذيب الأبرياء لا تفيد بأي شيء عن ضرورة ألا نعذِّب المذنبين، وإن كان الأمر صعباً أخلاقياً). إن الطريقة التي ينتقد بها فيلم (السجناء) التعذيب في سيناريو القنبلة الموقوتة هي من خلال الكشف بقوة عن الطريقة التي اتبعها كيلر لتحفيز التعذيب من خلال تسويق فكرة خاطئة عن فائدة التعذيب والحاجة العاطفية لحماية ابنته الصغيرة، التي تجدر الإشارة هنا إلى أنه لم ينجح في العثور عليها مع نهاية الفيلم. إن فائدة الحماية المفترضة للتعذيب هي مجرد مغالطة مثل فكرة نفعية التعذيب، والقيمة العظيمة لفيلم السجناء

تكمن في أنه يكشف التعذيب كعملٍ غير مجدٍ يقوم به رجل يائس. وبدلاً من مساعدة التحقيق في اختطاف ابنته، يكشف عنفه على أنه شخص يعاني من يأس مفرط ومأساوي.

من الصعب الادعاء بأن على المرء ألا يتصرّف بشكل حاسم من أجل حماية أطفاله، والواقع أنني لا أدّعي هذا الادّعاء الشائن. ومع ذلك، فإن مشكلة مفاهيم الذكورة التي يقوم عليها سيناريو القنبلة الموقوتة هي الطريقة المتبعة لتحريض الدافع العاطفي والسياسي الشرعي لحماية الأطفال من أجل تبرير التعذيب. إن القيمة العاطفية التي مُنحت لسيناريو القنبلة الموقوتة من خلال ربطه بحماية الأطفال -أو البنات العذراوات غالباً، ولكن ليس حصرياً- ربما تكون أوضح مثال على الطريقة التي يمكن بها استخدام ألعاب الخفة العاطفية لتبرير الفظائع. والأهم من ذلك، أن هناك انتقال بين هذه المواقف المعزولة والمبدأ العام الذي يسعون إلى ترسيخه: يجري استغلال قصصٍ تُروى حول أزماتٍ طارئةٍ بعينها ومن ثم تعاد أم عين الناظر مراتٍ ومرات، تتكرّر غالباً بما فيه الكفاية، لإثبات مبدأ عام مفاده أن التعذيب في حدّ ذاته فعلٌ وقائي إلى جانب إلى كونه فعالاً وفاعلاً. ومن خلال إقناع ممارسي التعذيب بأنه وسيلة لإرساء الغاية الخيّرة، وأن لا بديل له إذا أردنا الدفاع عن الأبرياء، فإن هذه الأعمال تقدم قصصاً مبرَّرة ومقنعة عاطفياً، لكنها غير متماسكة منطقياً ولا يمكن الدفاع عنها أخلاقياً.

المقطع الختامي: شخصية الأب المطلق

لاحظ الناقد مارك لامبرت أنه يمكن العثور بسهولة على موضوعات اقتبست من الكتاب المقدس في فيلم (تيكن Taken). إذ يقول: «ربما اقتُبِست فكرة موازية عن قضاة العهد القديم وقصة يوشع بن نون»، لأنها «شخصيات سمح الله لها بارتكاب أعمال إبادة ضد الأشخاص الذين يُعتقد أنهم أشرار كلياً»[1]. وجدير بالذكر هنا، لو يسمح لي عزيزي القارئ، إن إشارة لامبرت إلى ما ورد في الكتاب المقدس ما هو إلا تلميح مقصود إلى فكرة سيناريو القنبلة الموقوتة. ويشير تيرينس فريتهايم إلى أن العنف أمرٌ محوري لاختزال المعنى في العهد القديم، حيث يحافظ الله -الأب المطلق- على النظام في الأرض. ويضيف: «إن استخدام الله للعنف، الذي لا مفرّ منه في عالم عنيف، يهدف إلى تقويض العنف البشري من أجل إيصال الخليقةً إلى نقطة لم يعد فيها وجود للعنف». ويتابع: «ويسعى الله في كل شيء، حتى في العنف، إلى تحقيق غايات أساسها المحبة. وبذلك يمنع الله وقوع الشرّ الأعظم»[2]. نشهد هنا الحجة المألوفة الآن بأن العنف المرتكب لأغراض المحبة، أي من أجل زيادة السلامة العامة في العالم وإقصاء الشرّ، هو أمر أخلاقي لأنه يمنع عنفاً أكبر وفساداً أخلاقياً أعمق.

---

(1) مارك لامبرت، «مراجعة فيلم: تيكن»، مجلة الدين والسينما، المجلد. 13، رقم 1، أبريل 2009.

(2) فريثيم، تيرانس إي، «الله والعنف في العهد القديم»، كلمات وعالم، 24: 1 (2004)، ص 25، 28.

لكن يمكننا الاعتراض على استخدام كلمة «خلاف ذلك» في ملاحظة لامبرت حول السماح بارتكاب إبادة جماعية. ففي حكاية يوشع بن نون، تقتل الجيوش الإسرائيلية واحداً وثلاثين ملكاً، وتبيد العديد من الشعوب أثناء غزو أراضيهم[1]. وفي حكاية قضاة العهد القديم، يواجه الإسرائيليون بالمثل حرباً شبه مستمرة واضطراباً سياسياً عارماً، حيث يكون الذبح فيه أمراً روتينياً[2]. هذا بالتأكيد إبادة جماعية. ومع ذلك، يمكن تفسير استخدام لامبرت لعبارة «خلاف ذلك» عندما نشهد كيف بات من المسموح ارتكاب مثل هذه الفظائع من خلال الإشارة إلى خير أعظم، وهي (الغائيّة) التي يكشف من خلالها عن جميع هذه الجرائم عند الضرورة بسبب خطة أكبر. إن مقاصد الله الأعظم تضفي الشرعية على عنف الفتوحات إلى الحد الذي تتوقف فيه الإبادة الجماعية عن كونها إبادة جماعية. وبنفس الطريقة، فإن سيناريو القنبلة الموقوتة يقدّم التعذيب الذي يتوقف عن كونه تعذيباً بسبب الصفات الإيجابية والغرض الأخلاقي الأكبر الذي زيّن به.

وأيضاً عند التعمق أكثر في لاهوت العهد الجديد، فإن صلب السيد المسيح (الحدث اللاهوتي المحوري للمسيحية، حيث يُعذّب

---

(1) يشوع 6: 21: «لقد كرّسوا المدينة للرب ودمّروا كل شيء حيّ فيها - رجال ونساء، صغار وكبار، ماشية، غنم وحمير». 8:26: «لأن يشوع لم يتراجع عن يد رمحه حتى دمر كل من عاش في عاي». انظر أيضا 12: 9-24.

(2) القضاة 3:29: «في ذلك الوقت ضربوا نحو عشرة آلاف رجل من مملكة مؤاب، كلهم أقوياء وأشداء. لم يهرب منهم أي رجل».

ابن الربّ حتى الموت من أجل خلاص أرواح البشرية جمعاء) يوضّح الطريقة التي يمكن أن يوفر بها تعذيبُ شخصٍ ما الأساس لخلاص الكثير من البشر. بالطبع، يمكن تمييز الصلب بسهولة عن سيناريو القنبلة الموقوتة في كثير من النواحي، لكن فكرة معاناة شخصٍ ما مقابل خلاص العديد من الأرواح الأخرى هو موضوع تشترك فيه كلتا الفكرتين. إنّ حقيقة كون سيناريو القنبلة الموقوتة يدمج هذا الاختزال الديني للمعاناة يظهر الطريقة التي يستند بها إلى دوافع أخلاقية راسخة وواسعة النطاق لتبرير جريمة ليست أخلاقية. ويعمل سيناريو القنبلة الموقوتة على تسليح الحب نفسه، فهو فعّال من الناحية البلاغية، ومقنع بشكل مؤثر، وخطير سياسياً على وجه التحديد لأنه يردد المبادئ الأخلاقية مثل التضحية الفاضلة والفداء والحماية، ويجندها للعمل في خدمة شرعية التعذيب.

الختام

دراسة تفصيلية لسيناريو القنبلة الموقوتة

إن تقاليد المظلومين تعلّمنا أنّ «الأزمات الطارئة» التي نعيشها ليست الاستثناء بل القاعدة[1].

والتر بنيامين

هناك ثلاثة نماذج متصلة تندرج ضمنها النصوص التي ناقشتُها هنا. أولاً: يعمل عملاء خاصّون، أو جواسيس، أو جنود، على إنقاذ الدولة عن طريق ممارسة التعذيب في سياق أعمال مكافحة الإرهاب، وثانياً: ينقذ ضباطُ الشرطة، أو الحراس الأبطال، المدنَ عن طريق ممارسة التعذيب لتحقيق العدالة الريادية، وأخيراً: ينقذ الآباءُ العائلات (عادة البنات) عن طريق ممارسة التعذيب، وتنفيذ المهام الخاصة ضد الظلم. كلّ من هذه النماذج المتداخلة

(1) والتر بنيامين. «أطروحات حول فلسفة التاريخ». في: بنيامين، و. إضاءات، محرر. بقلم حنا أرندت. (لندن: بيمليكو، 1999)، ص 248.

يعرض السمات الثلاثة التي حدَّدتُها هنا، وهي أن كلَّ التعذيب يُعتمد كوسيلة موثوقة وفعالة لحلّ مشاكل معينة، ويُمنح التعذيب شخصية أخلاقية صالحة وضرورية بشكل تراجيدي، ويظهر التعذيب كأداة لأداء الواجب الذكوري في حماية الضعيف.

في سيناريو القنبلة الموقوتة، يشكّل كلٌّ من هذه الإحداثيات الفكرية والجمالية والسياسية جزءاً من كلّ متكامل ومتحد. إن فصلهم كما فعلت في هذا الكتاب هو أمر مصطنع إلى حد ما، لأن فعاليتهم تكمن في أنهم يعملون معاً في وقت واحد؛ وتتجمع هذه الأفكار لتكوين شعور بالوضوح، وبالفطرة السليمة الصائبة كلياً. تتداخل المنفعة والفضيلة والحماية بشكل لا ينفصم في مزيج متقطع من الإشارات الإيديولوجية والوجدانية القوية. إن التعذيب يحقق الحماية لأنه فعّال. وهو فاضل لأنه يحقق الحماية. ويحمي الأسرة والجنس الآخر لأنه ناجح. وهكذا، في حلقة متكررة لا نهاية لها من عويل السجناء، وصراخ رجال الشرطة، والكارثة التي بالكاد نتجنب وقوعها.

ولكن، يجب أن نتذكر دائماً أنّ معالم الوضوح هي معالم القوة، وأنّ ما هو «واضح» أو «الفطرة السليمة» يحدد بالطريقة التي يرغب بإظهارها من هم في السلطة، وتحدّ من الخبرة المقبولة والعادية. إنّ التعذيب هو سمة ثابتة للحكومات الشمولية والاستبدادية والتاريخ الاستعماري العالمي والحاضر الاستعماري. وبالتالي فإن سيناريو القنبلة الموقوفة مثيرٌ للاهتمام لأنه يحجب هذا التاريخ المادي

للتعذيب المنهج، ويعترف به إلى المدى الذي يظهر فيه أنه ينحرف عنه، ويفترض وضعاً استثنائياً لمرّة واحدة يتطلب فيها ارتكاب التعذيب من قبل فرد، أو مجموعة صغيرة من الأفراد، «لمرّة واحدة فقط» في حالات الأزمات الطارئة النادرة والمحدودة التي تختلف بشكل جذري عن الحياة اليومية. لكن ما أوضحَتْه الفصول السابقة من هذا الكتاب هو أنّ روايات سيناريو القنبلة الموقوتة تتكاثر بلا نهاية، وأن هذه الخصوبة لا تظهر أي نيّة للتراجع. ويبدو أن لدينا قصة عن حالة أزمة طارئة استثنائية لمرة واحدة تتكرر باستمرار إلى درجة التواجد الدائم. وبالتالي، فإن سيناريو القنبلة الموقوتة لا يتعلق حقاً بحالات الأزمات الطارئة الصادمة والمعزولة والمحدودة: إنها أداة بلاغية تبرر استمرار ارتكاب التعذيب والتظاهر بأنه يحدث «هذه المرة فقط». وهذا يوضّح النقطة المعاكسة لتلك التي يفترض منه إيضاحها، أي أنه يفترض بأن أمان الحياة العادية مضمون فقط من خلال الممارسة المستمرة لقوّة الأزمات الطارئة. هذه الحجة، التي تمكّن التبرير المستمر للعنف، هي فكرة سيناريو القنبلة الموقوتة، وربما تكون السبب الأكثر إلحاحاً (من بين العديد من الأسباب الملحة الأخرى) التي تستدعي مقاومته.

قائمة المراجع

المطبوعات

- ألكسندر، ماثيو [اسم مستعار]، مع برونينج، جون ر. كيف تحطم مقاومة إرهابي: المحققون الأمريكيون الذين استخدموا العقول بدلاً من الوحشية لإسقاط الرجل الأكثر دموية في العراق، (نيويورك: فري برس، 2008).
- أليسون، ديبوراه. «مفتش الاستدعاء كالاهان: مغامرات هاري القذر الجديدة»، فصلية الأدب والفيلم السينمائي، 44: 1 (2016)، ص 5 - 18.
- أميري، جان. عند حدود العقل: تأمّلات أحد الناجين من معسكر أوشفيتز وحقائقه، مترجم. سيدني روزنفيلد، ستيلا بي روزنفيلد، (إنديانا: مطبعة جامعة إنديانا، 1980).
- آرنت، حنا، «المسؤولية الشخصية في ظل الديكتاتورية»، حول: المسؤولية والحكم، محرر. جيروم كون، (نيويورك: شوكن بوكس، 2003)، ص 17-48.

- أريجو، جان ماريا، «حجة نفعية ضد التعذيب أثناء استجواب الإرهابيين»، أخلاقيات العلوم والهندسة، 10.3 (2004)، ص 543 - 572.
- أستون، فيليب، «بيان حول زيارة للمملكة المتحدة»، موقع الأمم المتحدة على شبكة الإنترنت، 16/ 11/ 2018:
https://www.ohchr.org/Documents/Issues/Poverty/EOM_GB_16Nov2018.pdf
- أوسارس، بول، معركة القصبة: مكافحة الإرهاب والتعذيب في الجزائر 1955-1957، مترجم. روبرت إل ميللر، (نيويورك: إنيجما بوكس، 2006).
- باجاريك، ميركو، وجولي كلارك. التعذيب: عندما يصبح اللامعقول جائزاً أخلاقياً، (نيويورك مطبعة جامعة نيويورك، 2007).
- ببينبردج، جاسون. ««هذه السلطة. هذا الكوكب تحت حمايتنا»- تفسير لاستجوابات الأبطال للقانون»، القانون والثقافة والعلوم الإنسانية، 3 (2007)، ص 455-476. على الإنترنت:
http: //dx.doi. ORG / 10.1177 / 1743872107081431
- بارينجتون، جيمس، المبالغة، (لندن: بان بوكس، 2004).
- بارينجتون، جيمس، الوباء، (لندن: بان بوكس، 2005).
- بارت، رولاند، الأساطير، ترجمة، آنيت لافرز (لندن: فينتاج، 1993 [1957]).
- بنيامين، والتر، «أطروحات حول فلسفة التاريخ»، في: بنيامين، و. إضاءات، محرر. آرنت، حنا، (لندن: بيمليكو، 1999) ص 245 - 255.
- بيرلاتسكي، نوح. «كيف حوّلت سلسلة نيتفليكس التلفزيونية الجديدة ديرديفيل التعذيب إلى فضيلة»، Reason.com، 21 أبريل 2015.

http: // reason.com/archives/2015/04/21/how-netflixs-new-daredevil-series-makes

- بلاكلي وروث وسام رافائيل، «التعذيب البريطاني في الحرب على الإرهاب»، المجلة الأوروبية للعلاقات الدولية، 2016:
http://dx.doi.org/10.1177/1354066116653455 Bobbitt, Philip.
- الإرهاب والموافقة: حروب القرن الواحد والعشرين (لندن: ألن لين، 2008).

- بريشر، بوب، التعذيب والقنبلة الموقوتة، (أكسفورد: بلاكويل، 2007).
- بوفاشي، فيتوريو وجان ماريا أريجو، «التعذيب والإرهاب والدولة: تفنيد حجة سيناريو قنبلة موقوتة»، مجلة الفلسفة التطبيقية، 23: 3 (2006)، ص 355-373.
- بايبي، جاي، «مذكرة لألبرتو ر.غونزاليز، مستشار الرئيس، بشأن: قواعد السلوك للاستجواب بموجب 18 USC § § 2340-2340 A» في: أوراق التعذيب: الطريق إلى أبو غريب، محرر. كارين جيه جرينبيرج وجوشوا لـ دراتيل، (نيويورك: مطبعة جامعة كامبردج، 2005)، ص 172-217.
- بيرد، لوري، «جاك باور هو هاري القذر في عصر الإرهاب»، في جاك باور للرئاسة: الإرهاب والسياسة في مسلسل 24، محرران. ريتشارد مينتر وليا ويلسون، (دالاس: بنبيلا، 2008)، ص 67-75.
- كامبل، جيمس، «الغنوصية القتالية: نقد إيديولوجية الشعر في الحرب العالمية الأولى»، التاريخ الأدبي الجديد 30: 1 (1999)، ص 203 - 215.
- كارنيرو، كلوديا، «أنا أدافع عن التعذيب: مقابلة مع جايير بولسونارو»،

Istoe Gente، 14 فبراير 2000.
https: // web. archive.org/web/20000526120540/http://www.terra.co m.br/istoegente/28/reportagens/entrev_jair.htm

- سيراسيني، مارك، 24: نتائج اللجنة الفرعية الخاصة بمجلس النواب في CTU (نيويورك: هاربر انترتيمنت، 2003).
- شامايو، جريجوار، نظرية الدرزنز، مترجم. جانيت لويد، (لندن: بنجوين، 2015).
- كلانسي، توم، ألعاب وطنية، (لندن: هاربر كولينز، 1988).
- كلانسي، توم، خطر واضح وحاضر، (لندن: فونتانا، 1990).
- كلانسي، توم، مجموع كل المخاوف، (لندن: هاربر كولينز، 1993).
- كوبين، إيان، بريطانيا القاسية: تاريخ سرّي للتعذيب، (لندن: بورتوبيلو، 2012).
- كونراد، جوزيف، العميل السري، (لندن: بنجوين، 1963 [1907]).
- كونيل، ر. دبليو «حول الذكورة المهيمنة والعنف: رداً على جيفرسون وهال»، علم الجريمة النظري، 6: 1 (2002)، ص 89-99.
- كونيل، ر. دبليو، الذكورة، الطبعة الثانية، (كامبريدج: مطبعة بوليتي، 2005).
- ديفيس، ديفيد، «التحقيق في التعذيب هو الطريقة الوحيدة لإخبار الحقيقة أخيراً عن أحلك أيامنا»، ديلي ميل، 1 أغسطس 2018.
http://www.dailymail.co.uk/news/article-6016193/We-need-torture-inquiry-David-Davis-tells-Theresa-May.html
- ديفيس، مايكل، «التبرير الأخلاقي للتعذيب وغيره من ضروب المعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة»، المجلة الدولية للفلسفة التطبيقية 19:

2 (2005)، ص 161-178:
http://dx.doi.org/10. 5840/ijap200519215 Delgado. Celeste Fraser.

- «الإثارات التقنية العسكرية وتكنولوجيا الإرهاب: توم كلانسي ولجنة المفقودين»، النقد الثقافي، 32 (1995-1996)، ص 125 - 152:
http://www.jstor.org/stable/1354533 Dershowitz. Alan.

- لماذا ينجح الإرهاب: فهم التهديد والاستجابة للتحدي (نيويورك ولندن: مطبعة جامعة يال، 2002).

- درشفيتز، آلان، «هل تريد ممارسة التعذيب؟ أحضر مذكرة»، سان فرانسيسكو كرونيكل، 22 يناير 2002:
http: //www.sfgate. com/view/openforum/article/Want-to--Get-a-wa rrant-2880547.php

- درشفيتز، آلان، «تعذيب الإرهابيين: هل هو ضروري - وهل يستحق الكذب بشأنه؟» في: درشفيتز، إطلاق النار: الحريات المدنية في عصر مضطرب (بوسطن ونيويورك ولندن: ليتل براون، 2002)، ص من 470 إلى 479.

- درشفيتز، آلان، «منطق التعذيب»، في التعذيب: أ مجموعة، محرر. سانفورد ليفنسون، نسخة منقحة، (أوكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2004)، ص 257-280.

- درشفيتز، آلان، هل هناك حق في التزام الصمت؟، (أوكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2008).

- درشفيتز، آلان، محاكمات صهيون، (نيويورك: جراند سنترال للنشر، 2010).

- دروهان، برايان، الوحشية في عصر حقوق الإنسان: النشاطية ومكافحة

التمرد مع نهاية الإمبراطورية البريطانية، (إيثاكا ولندن: مطبعة جامعة كورنيل، 2017).

- إلفورد، جورج روبرت، حارس الشيطان، (نيويورك: ديل للنشر، 1971).

- إلكينز، كارولين، جولاج البريطاني: النهاية الوحشية للإمبراطورية في كينيا، (لندن: بيمليكو، 2005).

- إيشهولز، سارة، ماثيو مالارد وستايسي فلين (2004)، «صور من السلسلة التلفزيونية Prime Time Justice: تحليل محتوى مسلسل «إن واي بي دي بلو» ومسلسل «القانون والنظام». مجلة العدالة الجنائية والثقافة الشعبية، 10: 3، ص 161 - 180.

- فال، برنارد ب، «مقدمة: لوحة للسينتوريون»، في: روجر ترينكوير، الحرب الحديثة: وجهة نظر فرنسية حول مكافحة التمرد (ويستبورت، كونيتيكت ولندن: برايجر الدولية للأمن، 2006)، الصفحات xi- xviii.

- فالون، مارك، الوسائل غير المبررة: القصة الداخلية حول كيفية قيام وكالة المخابرات المركزية والبنتاغون والحكومة الأمريكية بالتآمر لصالح التعذيب، (نيويورك: ريغان آرتز، 2018).

- فيجار، سيلج برينسرود، وأوتو بيترسون، وجونار توماسين، «من القانوني إلى هاري القذر: مواقف رجال الشرطة تجاه ممارسات الشرطة غير القانونية»، المجلة الأوروبية لعلم الجريمة، 11.6 (2014)، ص من 745 إلى 759.

http://dx.doi.org/10.1177/1477370814525935

- فيدلر، مايكل، «أداء ألعاب مضحكة في آخر بيت إلى اليسار: النوع

الغريب من الأفلام الذي «يغزو المنازل»، ثقافة إعلام الجريمة 9: 3 (2013)، ص 281-299.

- فيشر، مارك، الواقعية الرأسمالية: ألا يوجد بديل؟، (وينشستر وواشنطن: زيرو بوكس، 2009).
- فيشمان، أندرو، «جايير بولسونارو يُنتخب رئيساً للبرازيل. اقرأ مواقفه اليمينية المتطرفة بكلماته الخاصة»، الانترسيبت 28 أكتوبر 2018:

https://theintercept.com/2018/10/28/jair-bolsonaro-elected-president-brazil/

- فورسيث، فيدريك، قبضة الرب (لندن: بانتام، 1994).
- فورسيث، فريدريك، الأفغاني (لندن: كورجي، 2007).
- فورسيث، فريدريك، «بروتوكول درشفيتز» في الأكاذيب العامة ومسرحيات أخرى (تورنتو: مطبعة بلاي رايتس كندا، 2007)، ص 189 - 216.
- فريثيم، تيرانس إي، «الله والعنف في العهد القديم»، كلمات وعالم 24: 1 (2004)، ص 18 - 28، جاريسون، بول. روبرت لودلوم، قيادة جانسون (لندن: أوريون، 2012).
- جوردون، تريسي، «يمكن تبرير الحرب. ماذا عن التعذيب؟» ريلجن نيوز سيرفيس، 6 مايو 2009:

https://religionnews.com/2009/05/06/is-there-a-just-torture-doctrine-should-there-be/

- هانا، ماثيو، «التعذيب والقنبلة الموقوتة: الحرب على الإرهاب كتخيّل جغرافي للسلطة والمعرفة»، حوليات الرابطة الأمريكية الجغرافيون، 96.3 (2006)، ص من 622 إلى 640.

http://www.jstor.org/stable/4124436

• هاريس، سام، نهاية الإيمان: الدين والإرهاب ومستقبل العقل، (لندن: سيمون وشوستر، 2006).
• هاريس، سام، (2014) ردّ على الجدل، Sam Harris. org [عبر الانترنت]. متاح على:
http://www.samharris.org/ blog/item/response-to-controversy
• هارفي، ديفيد، تاريخ موجز للنيو ليبرالية، (أكسفورد: مطبعة جامعة أوكسفورد، 2005.
• هاسنر، رون إي، «أسطورة القنبلة الموقوتة»، واشنطن الفصلية، 41: 1 (2018)، ص 83-94.
http: // dx.doi.org/10.1080/0163660X.2018.1445367
• هيتشنز، كريستوفر، «تمرّد السجن: ما تسبب به معذبو أبو غريب» سليت، 4 مايو 2004.
http://www.slate.com/articles/news_and_politics/fight_words/2004 /05/ison_mutiny.html
• هولواي، ديفيد، «الحرب على الإرهاب تشويق التجسس وإمبريالية حقوق الإنسان»، دراسات أدبية مقارنة، 46: 1 (2009)، ص 20 – 44.
http: //dx.doi. ORG / 10.1353 / cls.0.0062
• ارون، مادلين، «التعذيب يصبح رائجاً!»، مجلة السلام، 20: 1 (2008)، ص 22-30.
http: //dx.doi. ORG / 10.1080 / 10402650701873684
• هوسي، أندرو، الانتفاضة الفرنسية: الحرب الطويلة بين فرنسا وعربها، (لندن: جرانتا، 2014).
• اللجنة الدولية للصليب الأحمر. الشعب في الحرب: وجهات نظر من ستة عشر دولة، (جنيف: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 2016).

- ايب، جون، «حرب فارس الظلام على الإرهاب»، ولاية اوهايو مجلة القانون الجنائي، 9.1 (2011)، ص 209 - 229.
- جاكسون وريتشارد وغاريث هول، «التحدث عن الإرهاب: دراسة للخطاب العامي»، سياسات 36: 3 (2016)، ص 292-307.
- جيني، الكسيس، فن الحرب الفرنسي، مترجم. فرانك وين (لندن: كتب الأطلسي، 2017).
- جوردن، وليام، «يجد الأمريكيون أن بعض حالات التعذيب مقبولة أكثر من غيرها» YouGov.com، 14 ديسمبر 2014، https://yougov.co.uk/news/2014/12/14/americans-find-some-tortures-more-acceptable-other/
- كابلان، روبرت د، «مقدمة: جان لارتيجوي: فك شيفرة المحارب إيتو»، في جون لارتيجوي، السينتوريون، (نيويورك: بينجوين، 2015)، ص ix–xiv.
- كينيدي، جو، الأصلاء: الثقافة والسياسة والخطورة الجديدة، (لندن: ريبيتر بوكس، 2018).
- كيسلوفيتش، ستيفن. طاوية جاك باور: ما يقوله الوحش الإرهابي المفضّل لدينا عن الحياة والحب والتعذيب وإنقاذ العالم 24 مرة في الـ 24 ساعة دون استراحة غداء (نيويورك: بلومنغتون، 2009).
- كيسلوفيتش، ستيفن، «محاكمة جاك باور: المحاكمة المتلفزة لبطل أمريكا الخيالي المفضل وتأثيره على الجدل الحالي حول التعذيب»، مجلة كاردوزو القانونية، 31.4 (2010)، ص 1125-1132.
- كينج، نيل، «وصف هاري القذر بالكذاب: نقد استبدال نظريات علم الجريمة الشعبية»، مراجعة جديدة لدراسات السينما والتلفزيون، 11.2

(2013)، ص 171-190:
http://dx.doi.org/10.1080/17400309.2012

- فون كلايست، هاينريش، مايكل كولهاس، مترجم. مارتن جرينبرج، (نيو جيرسي: دار مليفيل للنشر، 2008 [1810]).
- كلكارس، كارل ب، «معضلة هاري القذر»، حوليات الأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية، 452 (1980)، ص 33-47:
http://www.jstor.org/stable/1042758 Kuppers, Petra.
– «العمى والتأثير: موقع/ رؤية ديريدفيل». المجلة الفصلية للسينما والفيديو، 23.2 (2006)، ص 89-96:
http://dx.doi.org/10.1080/10509200590490592
- كايل، كريس، سكوت مكوين وجيم دي فيليس، القنّاص الأمريكي: السيرة الذاتية للقنّاص الأكثر فتكاً في الولايات المتحدة التاريخ العسكري، (نيويورك: هاربر كولينز، 2012).
- لامبرت، مارك، «مراجعة فيلم: تيكن»، مجلة الدين والسينما، 13.1 (2009).
- لارتيجوي، جان، كلاب الصيد في الجحيم، (لندن: كاسيل وشركاه، 1966).
- لارتيجوي، جان، مقاتلو الحرية، (سانت ألبانز: كتب ماي فلاور، 1974).
- لارتيجوي، جان. السينتوريون، (نيويورك: بينجوين، 2015 [1960]).
- لارتيجوي، جان. البريتوريون، (نيويورك: بينجوين، 2016 [1963]).
- ليذر، ستيفن، الرجل الصيني، (لندن: هودر وستوغتون، 2007 [1992]).

- لينز، تيموثي، «المحافظة في أفلام الجريمة الأمريكية»، مجلة العدالة الجنائية والثقافة الشعبية، 12.2 (2005)، ص 116 - 134.
- ليفين، مايكل، «قضية التعذيب»، نيوزويك 1982:

http://people.brandeis.edu/-teuber/torture.html

- لوبان، ديفيد، «الليبرالية والتعذيب والقنبلة الموقوتة»، مجلة قانون فرجينيا، 91 (2005)، الصفحات من 1425 إلى 1461.
- لوبان، ديفيد، «عدم التفكير في سيناريو القنبلة الموقوتة»، أوراق بحث قانون جورج تاون، 2008:

http://ssrn.com/ab abstract=1154202

- ماغنيت، تشيس، «ديرديفيل والتعذيب وأهمية السياق»، Comic book.com. 13 أبريل 2015:

http: // comicbook.com/2015/04/13/daredevil-torture-and-the-importance-of-context/

- مالون، ماري فران ت، «هل لدى هاري القذر الجواب؟»، النزاهة العامة، 13.1 (2010)، ص 51-80:

http: //dx.doi. ORG / 10.2753 / PIN1099-9922130104

- مالروا، أندريه، الفاتحون، (لندن ونيويورك: مطبعة جورنيهان، 1983 [1928]).
- مارشال، ثورغود، «خطاب قبول وسام الحرية»، 1992:

https://constitutioncenter.org/liberty-medal/recipients/thurgood-marshall

- ماير، جين، «مهما تطلّب الأمر: سياسة الرجل المسؤول عن 24»، ذا يويوركر. 9 فبراير 2007:

http: // www.newyorker.com/reporting/2007/02/19/070219fa_ fact_ mayer?currentPage=all

- ماير، جين، الجانب المظلم: القصة الداخلية حول كيف تحولت الحرب على الإرهاب إلى حرب على المثل الأمريكية، الإصدار الثاني، (نيويورك: أنكور بوكس، 2009).
- مازيتي، مارك، «بانيتا منفتح على أساليب أكثر صرامة في بعض حالات الاستجواب لدى وكالة المخابرات المركزية»، نيويورك تايمز، 5 فبراير 2009:

https://www.nytimes.com/2009/02/06/us/ policy / 06cia.html

- ماكريستال، ستانلي، «مقدمة» في كتاب جان لارتيجوي، الحرس الامبراطوري (نيويورك: بينجوين، 2016)، الصفحات vii–xi:
- ماكناب، أندي، الإشعار الأحمر، (لندن: بينجوين، 2012).
- ماكناب، أندي، الحصن، (لندن: بينجوين، 2014).
- ماكناب، أندي، حالة طارئة، (لندن: بينجوين، 2015).
- ميريل، جيمي، وآخرون، «كشف: كيف استخدم التعذيب لإحباط مؤامرة القاعدة تفجير طائرتين قبل 17 دقيقة من الانفجار». الاندبندنت 1 مارس 2015.

http://www.independent.co.uk/news/uk/home-news/revealed-how-torture-was-used-to-foil-al-qaeda-plot-to-bomb-two-airliners-17-minutes-before-10077722.html

- ميلر، فرانك، مع كلاوس جانسون ولين فارلي، عودة فارس الظلام، إصدار مجمع، (لندن: كتب تيتان، 2002 [1986]).
- ميلر، فرانك، الرعب المقدس، (نيويورك: ليجندري كوميكس، 2011).
- مينتر، ريتشارد، ولين ويلسن، محرران، جاك باور للرئاسة: الإرهاب والسياسة في 24، (دالاس: بنبيلا، 2008).

- موري، بيتر، «الإرهاب: العرق والأمة والأسلمة في مسلسل فوكس 24»، التدّخلات، 12.2 (2010)، ص 251-264:
http://dx.doi.org/10.1080/1369801X.2010.489699
- مومفورد، أندرو، «الحدّ الأدنى من القوة مقابل الوحشية: الاعتقال والاستجواب والتعذيب في حملات مكافحة التمرّد البريطانية»، مجلة الأخلاق العسكرية، 11: 1 (2012)، ص 10-25،
https://dx.doi.org/10.1080/15027 570.2012.674240
- نيكوليديس، أرسطو، «تلفزة مكافحة الإرهاب: التعذيب والإنكار والاستثناء في حالة مسلسل 24» الاستمرارية، 25.2 (2011)، ص من 213 إلى 225.
http: //dx.doi. ORG / 10.1080 / 10304312.2011.553942
- باردي، بريت، «بيع أبطال مارفل السينمائيين من خلال العسكرة»، تيار: ثقافة/ سياسة/ تقنية، 8.2 (2016)، ص 23 - 35 المجلات:
sfu.ca/ stream / index.php / stream / article / download / 200/178 /
- ستيفن بيكوك، (محرر). قراءة في مسلسل 24: التلفزيون ضد الساعة، (لندن: 2007، IB Tauris).
- بيتيت، فيليب، «العواقبية»، في: دارويل، س. (محرر) العواقبية (أكسفورد: بلاكويل، 2003)، ص 95-107 فيليبس، نيكي دي. وستاسي ستروبل، «علم الإجرام الثقافي والكريبتونايت: البناء المروّع الوحشي للجريمة والعدالة في الكتب المصورة»، الجريمة والإعلام والثقافة، 2.3 (2006): ص 304-331.
http: //dx.doi.org/10.1177/1741659006069573
- بورتر، هنري، حياة الجاسوس، (لندن: أوريون، 2002 [2001]).
- بورتر، هنري، امباير ستيت، (لندن: أوريون، 2003).

- بورتر، هنري، «في طريق الأذى»، أوبزيرفر 11 ديسمبر 2005:
http://www.theguardian.com/world/2005/ dec / 11 / usa
- رافتر، نيكول، «الجريمة والسينما وعلم الجريمة: أفلام الجرائم الجنسية الأخيرة»، علم الجريمة النظري، 11.3 (2007)، ص 403-420.
http://dx.doi.org/10.1177/1362480607079584 Rejali. Darius.

- التعذيب والديمقراطية، (مطبعة جامعة برينستون، 2007).
- روبينز، مارتن. «لو كان لي هيرست مقيداً إلى قنبلة موقوتة فلن أرغب في تعذيب الإرهابي للأسباب التالية»، صحيفة الجارديان. 26 يناير 2017:

https://www.theguardian. com/science/2017/jan/26/torture-baby-time-bomb-terrorist-trump-lee-hurst-comedian.
- روف، كارل. الشجاعة والعواقب: حياتي كمحافظ في القتال، (نيويورك: إصدارات ثريشولد، 2010).
- رامسفيلد، دونالد، معروف وغير معروف: مذكرات، (نيويورك: سنتينل، 2011).
- ساندز، فيليب، فريق التعذيب: الكشف عن جرائم الحرب في ارض الحرية الإصدار الثاني، (لندن: بينجوين، 2009).
- سارتر، جان بول. الأيدي القذرة، في «لا مخرج» وثلاث مسرحيات أخرى، مترجم. ستيوارت جيلبرت، (نيويورك: فينتاج، 1955)، ص 129 - 248.
- سكارى، إيلين، «خمسة أخطاء في منطق ألان ديرشوفيتز»، في: ليفينسون، س. (محرر.) التعذيب: مجموعة، نسخة منقّحة. (نيويورك وأكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2004)، ص 281 - 290.

- شنايدر، كارين، «بالعنف إذا لزم الأمر: إعادة صياغة الأسرة في أفلام الإثارة المعاصرة»، مجلة السينما والتلفزيون الشعبي، 27: 1 (1999)، ص 2-11.
- لجنة الاستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ، دراسة اللجنة لبرنامج الاعتقال والاستجواب في وكالة المخابرات المركزية، نيويورك تايمز، 9 ديسمبر 2014.

http: // www.nytimes.com/interactive/2014/12/09/world/ cia-torture-report-document.html

- شارب، كاساندرا، حلّ لي هذا اللغز: هل سيحتاج العالم إلى أبطال خارقين إذا كان القانون سيحقق «العدالة» بالفعل؟، ثقافة النص القانوني، 16.1 (2012): ص 353-378.

http://ro.uow.edu.au/ltc/vol16/issl/15

- شو، هنري، «التعذيب في دريم لاند: تفكيك القنبلة الموقوتة»، مجلة كيس ويسترن ريزيرف للقانون الدولي، 37: 2 (2006)، ص 231 - 239.

http: //scholarlycommons. law.case.edu/jil/vol37/iss2/4

- سيبرز، توبين، «الإعاقة كزيّ تنكري»، الأدب والطب، 23.1 (2004)، ص 1-22.

https://doi.org/10.1353/ lm.2004.0010

- سيمويز، ماريانا، «رئيس البرازيل الجديد المستقطب، جايير بولسونارو، من أقواله»، نيويورك تايمز، 28 أكتوبر 2018:

https://www.nytimes.com/2018/10/28/world/americas/brazil-preside nt-jair-bolsonaro-quotes. html

- سميث، كلايف ستافورد، الأشرار: خليج جوانتانامو والسجون السرية، (لندن: فينيكس، 2008).
- سميث، مارك ألين، المحقق، (لندن: سيمون وشوستر، 2012).

• لجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب أفريقيا، تقرير لجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب أفريقيا، المجلد السادس. 2003.

http://www.justice.gov.za/trc/report/ finalreport/vol6_s3.pdf

• شتاينهوف، أوي، «التعذيب - حالة هاري القذر وضد آلان ديرشوفيتز»، مجلة الفلسفة التطبيقية 23: 3 (2006)، ص 337-353.

• ستريبت، ديفيد، «الاختلاطات السيئة: هاري القذر، والشذوذ الاجتماعي، وإنجيل العقل السليم». فصلية مجلة الفيلم والفيديو، 32.4 (2015)، ص 399-408:

http://dx.doi.org/10.1080/10509208.2015.1012936

• سوليفان، أندرو. «ترامب لا يتسامح مع التعذيب وحسب - بل يحتفي به». نيويورك ديلي انتيلجنسر، 6 أبريل 2018:

http://nymag.com/daily/intelligencer/2018/04/trump-isnt-merely-tolerating-torture-hes-celebrating-it.html

• سوان، جوناثان، «ترامب يدعو إلى «جحيم أسوأ بكثير من الإيهام بالغرق»»، ذا هيل، 2 يونيو 2016:

http://thehill.com/blogs/ballot-box/gop-primaries/268530-trump-calls-for-hell-of-a-lot-worse-than-waterboarding.

• تينيبوام -فينبلات، كيرين، «أين جاك باور عندما تحتاجه؟» استخدامات الدراما التلفزيونية في الخطاب السياسي الوسطي»، التواصل السياسي، 26.4 (2005)، ص من 367 إلى 387:

http: //dx.doi. ORG / 10.1080 / 1058460090329696

• طومسون، جوديث جارفيس: «معضلة العربة»: مجلة يال للقانون 94.6 (1985)، ص من 1395 إلى 1415.

• توش، جون، «الذكورة المهيمنة وتاريخ النوع الاجتماعي» في الذكورية

في السياسة والحرب، محرّران. ستيفان دودينك، كارين هاجيمان وجون توش (مطبعة جامعة مانشستر، 2004)، ص 41-58.

- ترانتر، كيران، «المحامون المتسللون وأحكام الفقه التكنولوجي: الاستثناء، الموضوع والتقنية في مسلسل Battlestar Galactica». القانون والأدب 19: 1 (2007)، ص 45 - 75:
http://dx.doi.org/10.1525/lal.2007.19.1.45
- ترامب، دونالد ج. ترامب «سأفعل كل ما يتطلبه الأمر»، يو إس إي توداي، 15 فبراير 2016.
http: // www. usatoday.com/story/opinion/2016/02/15/donaldtrump-torture-enhanced-interrogation-techniques-editorials-
- وليام توينتج وباري باسكينز، «بينتام عن التعذيب»، الفصلية القانونية لايرلندا الشمالية، 24: 3 (1973)، ص 305-356.
- فانهالا، هيلينا، «المجتمع المدني تحت الحصار: الإرهاب وردّ الحكومة على الإرهاب في الحصار»، جامب كت، 50، 2008.
- فان فيرين، إلزبيث، «الاستجواب 24: جدوى مكافحة الإرهاب الأمريكية في الحرب العالمية على الإرهاب»، العلوم السياسية الجديدة، 31.3 (2009)، ص من 361 إلى 384:
http: // dx.doi.org/10.1080/07393140903105991
- فالزر، مايكل، «العمل السياسي: معضلة الأيدي القذرة»، الفلسفة والشؤون العامة، 2.2 (1973)، ص 160-180.
- ويفر وماثيو وسبنسر أكرمان، «يدّعي ترامب أنّ التعذيب ناجح لكن الخبراء يحذرون من عواقبه «الوجودية المحتملة»»، الجارديان، 26 يناير 2017:

https://www.theguardian.com/us-news/2017/jan/26/ donald-trump-torture-absolutely-works-says-us-president-in-first-television-interview.

- ويد وجينيفر هارت وريتشارد ديفيس ورونالد ويد (محررون)، مسلسل 24 والفلسفة: العالم حسب جاك (أكسفورد: بلاكويل للنشر، 2008).
- ويلیامز، جوردون، حصار مزرعة ترينتشر، (لندن: كتب تيتان، 2011 [1969]).
- وليامز، توني، مواقد الظلام: الأسرة في فيلم الرعب الأمريكي، إصدار محدث، (مطبعة جامعة ميسيسيبي، 2014).
- ورسستر، كينت، «المعاقب وسياسة العدالة الجزائية»، ثقافة النص القانوني، 16.1 (2012)، ص 329-352.

http://ro.uow.edu.au/ltc/vol16/issl/14

- زوكوف، ميتشل، 13 ساعة: التقرير الداخلي لحقيقة ما حدث في بنغازي، (لندن: ايبيري برس، 2015).

الأفلام

- 300 (2006). إخراج زاك سنايدر.
- المنتقمون: عصر أولترون (2015). إخراج جوس ويدون.
- باتمان: عودة فارس الظلام، الجزء الأول (2012). إخراج جاي أوليفا.
- بداية باتمان (2005). إخراج كريستوفر نولان. كابتن امريكا: جندي الشتاء (2014). إخراج أنتوني روسو وجو روسو.
- كوماندوز (1985). إخراج مارك ل. ليستر.

- المتواطئ (2013). إخراج نيال ماكورميك.
- ديرديفيل (2003). إخراج مارل ستيفن جونسون.
- فارس الظلام (2008). إخراج كريستوفر نولان.
- نهوض فارس الظلام (2012). إخراج كريستوفر نولان.
- ديدبول (2016). إخراج تيم ميلر.
- أمنية الموت (2018). إخراج إيلي روث.
- رغبة الموت الجزء الخامس: وجه الموت (1994). إخراج ألان أ. جولدستين.
- موتٌ قاسٍ (1988). إخراج جون مكتيرنان.
- هاري القذر (1971). إخراج دون سيجل.
- المعادل (2014). إخراج أنطوان فوكوا.
- استخلاص (2015). إخراج ستيفن سي. ميلر.
- الوجه المخلوع (1997). إخراج جون وو.
- الأجنبي (2017). إخراج مارتن كامبل.
- ألعاب مضحكة (1997). إخراج مايكل هانيكي.
- ألعاب مضحكة (2007). إخراج مايكل هانيكي.
- آيرون مان 2 (2010). إخراج جون فافرو.
- خطف (2017). إخراج لويس برييتو.
- سقوط لندن (2016). إخراج باباك النجفي.
- لن أتخلى أبدا (2015). إخراج هوارد جيه. فورد.
- سقوط البيت الأبيض (2013). إخراج أنطوان فوكوا.

- غرفة الرعب (2002). إخراج ديفيد فينشر.
- السجناء (2013). إخراج دينيس فيلنوف.
- المعاقب (2004). إخراج جوناثان هنسلي.
- التطهير (2013). إخراج جيمس ديموناكو.
- الصخرة (1996). إخراج مايكل باي.
- الحصار (1998). إخراج إدوارد زويك.
- تيكن (2008). إخراج بيير موريل.
- تيكن 3 (2015). إخراج أوليفييه ميغاتون.
- تيكر (2001). إخراج ألبرت بيون.
- المفتوح (2017). إخراج مايكل أبتد.
- لا معقول (2009). إخراج جريجور جوردان.

التلفزيون

- 24، الموسم الأول الحلقة الخامسة عشر (2001). إخراج جون كسار.
- 24، الموسم الثاني الحلقة الثانية عشر (2002). إخراج فريدريك ك. كيلر.
- 24، الموسم الرابع الحلقة الأولى (2004). إخراج جون كسار.
- 24، الموسم الرابع، الحلقة الثامنة عشر (2004). إخراج إيان توينتون.
- 24، الموسم السادس، الحلقة الثانية عشر (2007). إخراج تيم لاكوفانو.
- 24، الموسم السابع الحلقة الأولى (2008). إخراج جون كسار.

- الموروث، الموسم الأول، الحلقة السادسة (2017). إخراج جون كسار.
- الموروث، الموسم الأول، الحلقة الثامنة (2017). إخراج برونون هيوز.
- الخلاص (2008). إخراج جون كسار.
- باتلستار جالاكتيكا الموسم الاول الحلقة الثامنة: اللحم والعظم (2004). إخراج براد تورنر.
- ديرديفيل، الموسم الأول، الحلقة الثانية: كت مان (2015). إخراج فيل أبراهام.
- ديرديفيل، الموسم الأول، الحلقة العاشرة (2015): نيلسون ضد.
- موردوك. إخراج فارين بلاكبيرن.
- ديرديفيل، الموسم الأول، الحلقة الثالثة عشر: ديرديفيل (2015). إخراج ستيفن س. دي نايت.
- المدافعون، الموسم الأول، الحلقة الثانية: مين رايت هوك (2017). إخراج س. جي. كلاركسون.
- المدافعون، الموسم الأول، الحلقة الخامسة: اختبئ (2017). إخراج أوتا بريسفيتش.
- جوثام، الموسم الأول، الحلقة الثانية: سيلينا كايل (2014). إخراج برونو هيلر.
- فيلادلفيا دائماً مشمسة الموسم الرابع الحلقة الثانية: العصابة تحل أزمة النفط (2008). إخراج مات شكمان.
- لوك كيج، الموسم الأول، الحلقة الثانية عشر: مناجاة الفوضى (2016). إخراج فيل أبراهام.

- لوك كيج، الموسم الثاني، الحلقة الثالثة: الحماس (2018). إخراج مارك جوبست.
- إن واي بي دي بلو الموسم الخامس الحلقة الثانية والعشرون: شهر العسل في شلالات الفياجرا (1998). إخراج باريس باركلي.
- إن واي بي دي بلو، الموسم الحادي عشر، الحلقة العاشرة: أنت رائع (2004). إخراج جون هيامز.
- المعاقب، الموسم الأول، الحلقة الثانية: رجلان ميتان (2017). إخراج توم شانكلاند.
- المعاقب، الموسم الأول، الحلقة الثانية عشر: المنزل (2017). إخراج جت ويلكينسون.
- المعاقب، الموسم الثاني، الحلقة الخامسة: One Eyed Jacks (2019). إخراج ستاسي باسون.
- المعاقب الموسم الثاني الحلقة السابعة: يوم سيء (2019). إخراج فيليسيا د. هندرسون.

شهد الصعود الحالي لليمين العالمي - وفي ظلّ قيم العالم الغربي الرأسمالي - عودة المدافعين عن التعذيب إلى واجهة التيار السياسي، منطلقين من ترويجهم لصوابية فكرة تعذيب الخصوم من أجل تحقيق الأمن العام. وتشير آخر الاستطلاعات أن قطاعات كبيرة من السكان في الديمقراطيات العالمية مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة تعتبر التعذيب مبرراً ومشروعاً في حالات الطوارئ. حيث يتراءى التعذيب في الثقافة الشعبية السائدة على نطاق أوسع من أي وقت مضى، وغالباً في الأفلام أو الروايات التي دائماً ما تجنح لتصوير "سيناريو القنبلة الموقوتة".

في هذا الكتاب، يدرس الناقد الثقافي أليكس آدامز هذا السيناريو بعمق، بالنظر إلى الطرق التي تُقدّم بها للعامة من خلال الأفلام والروايات والبرامج التلفزيونية. ويحاول من خلاله تعرية وانتقاد حجة هذه النظرية خطوة بخطوة، حيث يُذكّرنا هنا بأنه على الرغم مما يجعل البعض يتقبّل"سيناريو القنبلة الموقوتة" في حالات انفعالية بداعي الحفاظ على الأبرياء، إلّا أنه من غير الممكن تبرير التعذيب على الإطلاق؛ إذ أنّ التعذيب هو سمة ثابتة للحكومات الشمولية والاستبدادية والتاريخ الاستعماري (الكولونيالي) العالمي والحاضر الاستعماري. وبالتالي فإن سيناريو القنبلة الموقوتة يُستخدم لحجب هذا التاريخ المادي للتعذيب الممنهج، ويعترف به إلى المدى الذي يظهر فيه أنه ينحرف عنه.

الناشر







www.takweeen.com | Publishing@takweeen.com